مشروع القرن الثقافي

روايات مصرية للجيب

في كل رواية متعة دائمة

الحب والرعب

3

سالي عادل

Looloo
www.dvd4arab.com

أمنيات أبدية

أمنيـات أبـدية

عن الحب والرعب ..

كنت أود أن أقول :

من قال أن الحب ليس مرعبًا ؟ أنت فتى كبير ومسئول ، فهل تستطيع رعاية من تحب ؟! هل تستطيع أن تنقذ فتاتك من الأوغاد واللصوص وقطّاع الطرق ؟! هل تستطيع أن تجنّبها السيارات المسرعة والأمراض والكوارث ؟! هل تستطيع أن تحميها حتى من نفسك ؟! أنت تنظر للباكين من فراق أحبائهم وترتجف خوفًا أن تهجرك ، أنت حتى لا تفكّر أن ثمة اختراع يسمى (موت) يتسبب فى فراق الأحباء ! هل تخاف أن تتركك وتموت ، هاه ؟! إذًا ، كيف يكون شعورك .. لو تركت الموت ، وعادت إليك ؟!!

فقط ، كنتُ أتساءل .

Looloo
www.dvd4arab.com

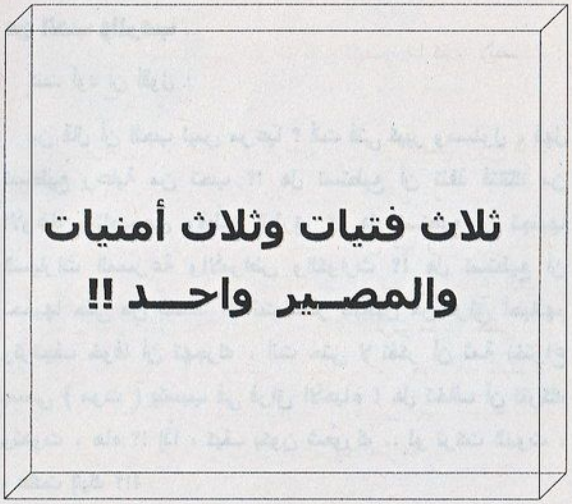

عن لعنة (ليلى برهان) ..

استمع لى ، أنت تهمنى ، لو لم تكن تهمنى ما كنتُ لأنصحك : ابتعد عن (ليلى برهان) .

(ليلى برهان) لا تملك روحًا مثلنا ، إن لها نصف روح فقط ، والنصف الآخر حمله وفرّ به من يدعى (سامى عزيز) .

(ليلى برهان) لا تملك عمرًا مثلنا ، إن لها ربع قرن أخذته كاملاً وأنكرته ، ربع قرن لا تفعل شيئًا سوى اتساع العينين وسقوط الفك مع الارتجاف ، ثم الجلوس لأقرب مقعد تحكى لأول عابر عمّا أصابها ، ولا تنسى أن تخبره أنها لم تأخذ شيئًا من العمر ، ويمكنها أن تصوّب عينيها الكاذبتين إلى عينيك لمدى ما شئت دون أن تطرُف ؛ تقول إنها تريد عمرها .

(ليلى برهان) لا تملك اســمًا مثلنا ، إن اسمها ميراث من الماضى والحاضر سيحنى ظهــرك ، ومتــاهة مــن كتب النثر والشِّعر ستدير رأســك ، وأنشــودة مــن أناشيد الحب والرعب سترجف بدنك ، ترعُد عظامك ، تذيب أعصابك ، تجمّد دماءك ،

Looloo
www.dvd4arab.com

تزيغ بصرك ، تشيب شعرك ، تخبّط أسنانك ، تفكك ركبك ، تنحل وبرك ، تقصف عمرك ، فتحلى بالحكمة وانفذ بجلدك من (ليلى برهان) .

(ليلى برهان) ــ أغلب الوقت ــ شعرها قصير ، يشاهدونه فى أوقات طويلاً . عينها سوداء ، تبدو فى مرات خضراء . وزنها مثالى ومع هذا تتبع حمية ؛ لأن الميزان يخبرها عن ضعف وزنها .

(ليلى برهان) ــ أغلب الظن ــ تعمل نادلة ، إنهم يشاهدونها تدخل وتخرج من مطعم غريب تحوم حوله القطط السوداء : وردیات عمل مسائية ، زبائن غرباء الأطوار ، وتقطيبة دائمة على جبينها ــ كما التعويذة ــ تطرد الأرواح الشريرة ، ومع هذا تجذبك أنت ، لأن روحك ليست شريرة ، وعودك الأخضر سينثنى على يديها حتى تسمع الطقطقة ، فتشبث بجبل يعصمك منها واركض إلى أبعد ما يمكنك عن (ليلى برهان) .

(ليلى برهان) ــ أغلب العمر ــ تجلس وحيدة ؛ ولذلك لا أفهم بالضبط سبب ضحكها فجأة ثم تكويرها قبضتها لتدفع بها

فى كتف خفى ، لا أعرف سر توقفها فى الطريق لتحية من لم يوجد ، أو مغزى ردها على الهاتف حين لا يرن .

استمع لى ، لا تستمع إلى (ليلى برهان) !

ستندهك كما النداهة وستنجذب لها كما المجذوب . ستركض أميالاً خلف كلمة من شفاهها حين تنطق ، وستدمن حميميتها حين تنصت إليك بوجل ، وتجيب أحزانك بهمهمة لا أكثر لكن فيها كل المواساة ، وحين تصمت أنت ، سترفع إليك طرف عينها هامسة : « وماذا بعد ؟ » ، وستجد أنك تسترسل فى الحكى حتى لتفتح قدس أقداسك ، وتفصح عن سر أسرارك دون أن تعى ، ثم تسكب فوقه روحك فى فنجان وتقدمه لها . ثم أخبرنى بعدها كيف ستعيش من دون روح .

ستحبها ، ولن تقدر أن تخبرها أنك تحبها ، ستكتفى منها بتربيت كتف الأصدقاء ، ستكتفى أن تلمح قلقها عليك إذا ما سعلتَ وركضها لتجلب كوبًا من الماء والدواء ، تكتفى أن تحدّثها عن صديقك الذى يحب من طرف واحد ، وتحدّثك هى عن أحبّائها الجدد الذين لستَ أحدهم . وفى اللحظة التى تقرر بها أن تتغلب على مخاوفك وتصارحها بحبك ستتراجع سنتيمترات للوراء ،

Looloo
www.dvd4arab.com

ترسم الدهشة على وجهها فى حين تخبرك فيما يشبه الحرج : « ولكنى حكيت لك عن حبيبى الجديد » .

وستعرف أنت أن حبيبها الجديد هو غريمك القديم هو عدوّك الأوحد ، هو من يدعى (سامى عزيز) ، وأنّ كل حبيب غيره يأتيها حاملاً حياته على كفّه ، فتنتقى منها بعض الدفء ، بعض السعادة ، بعض الصبر على فراق (سامى عزيز) ، ثم ترد إليه كفّه . وأنـــت مسكين يا أنت . أنت اسمٌ على قائمة أطول من الليالى السوداء التى تنتظرك فى عشق (ليلى برهان) .

ستعلم ــ متأخرًا ــ أننى صدقتُ حين أخبرتك أن (ليلى برهان) ملكة الاحتمالات وسيدة التناقضات وبطلة الحكايات غير المكتملة ، إنها حنونة وقاسية ، وإنها قد تحبك ، وقد لا تأبه بك على الإطلاق ، ستعرف أنها ناعمة كالثعابين ، ودمعتها قريبة كالتماسيح ، وقليلة الحيلة كما الـــ (أنثى) ، أقول لك : أ ــ ن ــ ث ــ ى ، وأنت تعرف كم عظيم كيدهن !

ولن تعرف ، لا أحد يعرف لماذا تستخدم تلك البريئة أناملها الصغيرة لتكتب الرعب دونًا عن الأنواع الأخرى ، لا أحد يفهم لماذا تستخدم صوتها الرقيق لتقرأه على نفسها قبل الآخرين ،

ولا أحد يلمح التماع عينها باللذة حين ترتجف خوفًا من حرف كتبته بنفسها .

انتبـــه لى ..

أنا هنا فى الظلام أتكبد نصيحتك ، وأنت تسعى بإصرار لأن تصيبك لعنة (ليلى برهان) ، ألم تحاول أن تسأل نفسك :

لماذا تترك (ليلى برهان) العمل فى مجال دراستها كصحفية واعدة وتفضّل أن تعمل نادلة فى ذاك المطعم المريب ؟!

لماذا تترك البشر على الأرض وتصادق شبحًا على الإنترنت تناديه (فانتوم) وتبث إليه حكاياتها عن عوالم لا أدرى كنهها ، وشخصيات ليست على ما يُرام ؟

لماذا تتزوج بواحد فى حين تهيم بآخر ، ثم يظل بقلبها متسع لـــ (عاصم) و(نائل) و(إيهاب) و(فريد) و ... أخشى أن أنسى أحدهم ؟!

ولماذا بعد كل هذا ، تظل تأمل أنت ــ فى أسعد أحلامك ــ بأن تصير أحدهم ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

ألم يخطر ببالك مرّة أن تسأل تلك الأرملة الحزينة المسماة (ليلى برهان) :

كيف صارت أرملة بعد زواجها بهذه السرعة ؟ وأين ذهب الطفل الذى كانت تحمله ببطنها ؟!

لم يعد هناك وقت ، استجب لى ، لا تقترب من (ليلى برهان) ، لا تعبر بشارع عبرت به (ليلى برهان) ، لا تبحث فى ذاكرتك ، لا ترسم فى مخيلتك ، ولا تردد فى خاطرك جملة تحمل اسم حبيبتى (ليلى برهان) .

بإخلاص ..

أحدهم .

مقدمة

(أيها القادم ترفّق ؛ سلّمة الحاضر نخرة ، تُسقطك إلى المستقبل ، وليت المستقبل أفضل ! فتمهل) .

ربما من الاستثنائى أن تحظى بصديق يحب الرعب . لذلك منذ حظيت بصداقتك لم أقرّط . أنا حتى لم أفكر لماذا وحدك تطاوعنى فى سماع تلك الحكايات ، فى حين يسخر الآخرون . لم أفكر لماذا تسمى نفسك (فانتوم) ، ولا تسمح لى برؤية صورتك ، أو معرفة أى شىء عنك طوال فترة دردشتى معك . لماذا لا تُعمِل الكاميرا ، هاه ؟! هل تظن أن هذا يكفى لأصدّق أنك شبح ؟ هل تهدف لإخافتى ؟ أصارحك . هذا لا يكفى لإخافة قط !

Looloo
www.dvd4arab.com

أنت لا تعرفنى جيدًا بعد . تلك التى تحدثك ــ همم .. لا أجد فضلاً أنسبه لنفسى سوى أننى ــ أكثر من خافت بالعالم . ولذلك ، ليس بإمكانك إخافتى بسهولة . أنا حتى ذات مرة .... آه ... سأحكى لك من البداية .

♪

ــ « احكِ لى أحجية ! »

ــ « لم يبقَ فى جعبتى غير الحكايا السيئة

فاسمعيها يا ابنتى مسرعة » .

عبَرَتْ فيها الليالى ... مبطئة[1] !

♫

---

(1) قصيدة طفلتها ، ديوان مقتل القمر . جميع الاقتباسات لـ (أمل دنقل) .

1

ملـك وكتـابة

ــ يوم الأمنية ..

ارتكنّا إلى حائط ، وانضممنا إلى بعضنا ، أخرجت (مشيرة) شطيرة وبدأت تلتهمها فى تأثر :

ــ أشعر بالذعر لكأنى طفلة أضاعت أمها ، أخبركما شيئًا ، إن التيه لسيئ ، والرحلات مرعبة .

قالت (عصمت) :

ــ هــو خطئى مــن البداية أن أطعتكما ، إن أطعتكما بعدها فلأُقتل أو أُشنق !

قلتُ لهما :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لا تكونا طفلتين ؛ نحن لسنا فى مجاهل أفريقيا ، نحن عند الأهرامات ، يعنى إذا تعذّر علينا الوصول للرفاق يمكننا ببساطة أن نستقل حافلة ونعود .

أشارت (مشيرة) إلى تجمّع على مد البصر :

ــ ما هذا !؟

دقّقتُ النظر : كان تجمعًا للسيّاح حول شىء ما . قمنا ننفض ملابسنا إلى هناك ، فإذا به مزارًا للأمنيات : بئر جافّة عميقة محاطة بالأسوار ، وعلى الزوّار أن يرموا عملاتهم ويتمنوا ، وقد خدعهم أحدهم بأن أمنياتهم مُجابة .

صاحت (مشيرة) :

ــ واو !

مدّت يدها بسرعة بجيب الجاكيت الذى ترتديه وأخرجَت جنيهًا معدنيًا همّت لترمى به ، لكنها توقفت على ضجّة ما . استدرنا فإذا بمجموعة من الفتيات يقبضن على رجل عجوز يوسعنه

ضربًا ، ويحاول تخليص نفسه فيلوّح بعصاه ولكنه لا ينالهن ، فيزيدونه من ضرباتهن والسباب ، انفلتت منّا (عصمت) وذهبت إليه تدفعهن عنه فى عنف قائلة :

ــ أقسم أن أمزقكن إربًا إذا لمستن شعرة من هذا المسكين ! لم تعد بالقلوب رحمة ! ولئن لم أمنعكن عنه فلأُقتل أو أشنق !

توقفت الفتيات إذ تفاجأن بسلوك (عصمت) ، ومن خلفها جاء ضابط أمن على عجل :

ــ ما الذى يحدث هنا ؟

بادره العجوز بوهن :

ــ لا شىء ! لا شىء !

قال الضابط :

ــ إذًا لا تجمهر . فليذهب كل إلى حال سبيله .

Looloo
www.dvd4arab.com

برطمت الفتيات بكلمة أو اثنتين قبل أن يبتعدن . فى حين اقتربتُ أنا و(مشيرة) منه . كان واهنًا مضعضع الجسد وعيناه منغلقتين ، ربتُّ على كتفه ، وأصلحتُ من ثوبه .

مدَّتْ إليه (مشيرة) يدها بالجنيه المعدنى ، لكنه لم يبدِ أية استجابة ، فطوت يدها بالجنيه ، ويبدو أنها قارنت بين حالة العجوز وقيمة الجنيه ، وأخرجت عملة ورقية أكبر قليلاً ومدّت بها يدها ، ولكنه أيضًا لم يُبدِ استجابة ، فكّرتُ أنه ــ ومع انغلاق عينيه والعصا فى يده ــ لربما كفيف ، وضعنا النقود بيده ، وأجلسناه فى أحد الأركان ، وهممنا بالرحيل لكنه استوقفنا لاهثًا :

ــ لحظة !

ووضع يده فى جيبه فأخرج عملة معدنية قديمة ومدّ يده بها قائلاً :

ــ أنتن بنات طيبات ، خذن هذه العملة ، إنها من عالم ليس بعالمكن ، اقذفن بها فى البئر وتمنين أمنية !

التقطت (مشيرة) العملة بسرعة :

ــ وستتحقق ؟!

ابتسم العجوز فى رضا . كانت العملة مطموسة الملامح مع هذا تبيننا على أحد وجهها رسمًا وعلى الآخر كتابة .

قالت (عصمت) : لنرميها ، علّها تستقر على « الملك » : السلطة والقوة والانحناء فى حضرته .

قالت (مشيرة) : لنرميها ودعيها تستقر على « الملك » : الشهرة والجاه وإشارات الأصابع إليه .

وقلتُ أنا : ولماذا لا تستقر على « الكتابة » : الحرف ، بث الروح .. أصل الأشياء ومنتهاها ...

نظرنا إلى بعضنا وضحكنا ، شبكنا أذرعنا وسرنا إلى البئر نردد : معانا ريال معانا ريال ... للـ ... للـ ... لا .... للـ للـ لا ...

Looloo
www.dvd4arab.com

للـ..للـ..للـ ... للـ..للـ..للـ ...

قالت (عصمت) لـ (مشيرة) :

ـ هاتِ العملة لأرميها .

قالت (مشيرة) :

ـ أنا من سيرميها .

ـ بل أنا .

ـ بل أنا ، أخبركِ شيئًا ؟ وسأتمنى .

ـ أنا من يرميها يا (مشيرة) وإن رماها غيرى فلأقتل أو أُشنَق .

كنت أعرف ما الذى تتمناه كل منهما ، (عصمت) المولعة بالحوادث والمجرمين والسفاحين ، و(مشيرة) المهووسة بالنجـوم والفنانين والمشاهير .. التفتُّ ، سرحتُ فى الأفق : وأنا .. عاشقة الأدباء والشعراء و.....

وقعت عينى على العجوز على البعد ، كان ناظرًا إلى بعينين متسعتين !!

وقع فى قلبى : ألم يكن أعمى ؟ التفتُّ أخبرهما ، لكنى وجدتُ (عصمت) وقد اختطفت العملة من (مشيرة) وقذفت بها إلى العمق ، تبعتها بعينى إذ تسقط هى وفكّى معًا .. ضمّت (عصمت) رأسينا بكفيها ، وتمتمت بشىء ما ! حررتُ رأسى حين استطعت قائلة :

ـ لماذا تعجلتِ يا (عصمت) ! إن هذا الرجل مبصر ، لقد كان فاتحًا عينيه الاثنتين الآن !

ـ ماذا تقولين ؟

ـ ها هو ! انظرى !

لكنّا إذ نلتفت لم نجد له أثرًا لكأنه اختفى . تهامسا بينهما :

ـ إنها تخرّف ..

ـ لقد أذابت الشمس رأسها .

Looloo
www.dvd4arab.com

صحت بهما :

ــ اصمتا ! إن هذا الرجل مريب ، وأنا أخشى من تلك الأمنية ، ماذا تمنيتِ يا (عصمت) ؟

ــ دعكِ من هذا الآن ، إن ما يشغلنى لهو أخطر من هذا .

ــ وما هو ؟

وضعَتْ ذراعها على كتفى إذ نسير وقالت :

ــ تلك البئر ، المكدسة بآلاف العملات والوريقات من كل لون ... تُرى من الذى ينظفها ليلاً ؟

أنزلتُ ذراعها فى عنف :

ــ أنتِ لا تصدقيننى .

ثم مددتُ الخطا ، ومن خلفى أسمع (مشيرة) تحدثها :

ــ دعكِ منها وأخبرينى ماذا تمنيتِ يا (عصمت) ؟

ــ لن أخبرك !

ــ بل أخبرينى .

ــ أخبرتك أنى لن أخبرك !

ــ بل أخبرينى ، أخبرينى ، أخبركِ شيئًا ؟ ستخبرينى !

ــ بل لن أخبرك ، لن أخبرك ، وإن أخبرتك بعدها فلأُقتل أو أُشنق !

Looloo
www.dvd4arab.com

2

قِـط وفـــأر

ــ اليوم السابق للأمنية ..

معنا ساعة إذًا قبل المحاضرة ..

جلسنا نأخذ مشروبًا فى الكافيتريا ، وكان ذلك حين دخل أحدهم فرنّت صافرة (عصمت) مدويّة ، عنّفتها (مشيرة) :

ــ لا تفعلى هذا ثانيةً يا (عصمت) .

أيّدتُها :

ــ قولى لها ! لطالما أخبرتها أن البنات لا تصفّرن لدى رؤية الرجـــال .

تابعت (مشيرة) مستنكرة :

ــ إنها تصفّر فى أذنى !

ــ هـــاه !

قالت (عصمت) :

ــ اعذرانى ، إنه ... فوق الاحتمال ..

تطلعت (مشيرة) :

ــ ويلى ! إنه قطعـــة مـــن (حســين فهمى) ، نســخة من (أحمد عز) .

ــ لكن (أحمد عز) لا يشبه (حسين فهمى) .

ــ أخبركما شيئًا : إنه كنجوم السيما !

خالفتها (عصمت) بحدّة :

ــ لا ، لا .. إنه أكثر خشونة من مدللى السينما أولئك ! إن به قدرًا من الرجولة لم يجتمع لرجل من قبل ، إن لم يكن هذا (جاك السفّاح) فلأُقتَل أو أُشنَق !

Looloo
www.dvd4arab.com

كنتُ أعدُّ شيئًا لردعمها لكنى إذ أنظر إلى حيث تنظران وجدت أنى أقول :

ــ لا يمكن أن يكون سطحيًّا كالفنانين ، أو ساديًّا كالمجرمين . إنه لأرق وأعمق مما تزعمون ، أراهن بعمرى إن لم يكن شاعرًا أو أديبًا .

قالت (عصمت) :

ــ إذًا تموتين صغيرة ، إنه المعيد الجديد بكليتنا !

صرخنا معًا :

ــ واااو !

كنتُ أرقبه إذ يرشف من القهوة ، ويطبع على حاسبه المحمول ، فأتخيل أنه يكتب قصيدة فى عينى ، ويأتى يهدينى إياها ، ثم أقول لهما :

ــ لا بد أنه يكتب الشعر بجانب عمله الأكاديمى .

وتلاحظ (مشيرة) نظرات الطالبات فى الكافيتريا إليه فتتخيل أنه يطلبها للرقص فى رقصة طويلة مرتجلة تدهش جميع الفتيات اللاتى تنظرن إليه الآن وتثير حسدهن ، ثم تلتفت إلينا وتقول :

ــ لا شك أنه يذهب إلى التصوير ، فى غير أوقات عمله الأكاديمى .

أما (عصمت) فأبهرها قوامه الرياضى ، والعضلات البارزة من كمه القصير . جذبتها شعراته الثائرة ولحيته غير المهذبة ، وأخذت عقلها صرامته فى مواجهة نظرات الفتيات إليه ، فتخيلت أنه يأخذها إلى الغابات الاستوائية ليصيدا الغزلان ويواجها الأسود والغيلان ، ثم نظرت إلينا وقالت :

ــ لا مفر من أنه يقتل الفتيات المنحلاّت ، بعد عمله الأكاديمى .

Looloo
www.dvd4arab.com

كنت أعرفهما جيدًا ، وأعرف جنونهما وتطرف أفكارهما ، أعرف اختلاف كل منهما عن الأخرى ، وعنّى ، وأعجز عن معرفة سبب صداقتنا رغم هذا .

أعجز عن فهم ترقبى لما يأتى بعد عبارة « أخبركما شيئًا » فى كل مرة تقولها (مشيرة) ، بالرغم من أنها دومًا لا تُضيف جديدًا ، ولا سر الحماس الذى ينتقل إلى ما إن تقل (عصمت) : « فلأقتل أو أُشنق » !

أما وقد انقضت الساعة ، فقد ذهبنا إلى المدرّج ، وجلسنا للمرة الأولى فى تاريخنا العلمى فى الصف الأول ، فيما يتبعنا إلى الداخل : المعيد الجديد .

كانت له طريقة فريدة فى الشرح ، وقد استولى على اهتمامنا ربع ساعة كاملة نتابعه ولا نتحدّث ، حتى غلب الطبع فى النهاية ؛ فعقولنا لم تكن مبرمجة على الفهم فى المحاضرات ، وكنّا مشغولات بالمواضيع الصحفية التى يجب أن ننجزها

لصحيفة الكلية التى نتدرب بها حتى نحصل على درجات أعمال السنة ، فسألتُ (مشيرة) :

ــ كيف مضى الأمر معكِ فيما يخص (سامر شهدى) ؟

تبدّل وجهها :

ــ ألف ألف اتصال ولا يرد ، ألا يتحرك فضوله مرّة ليعرف من هذا اللحوح الذى يتصل به ؟

ــ إذًا سكتِّ ؟

ــ لا ، أرسلت له رسالة أخبرته أنى معجبة به أشد الإعجاب ، ولا أريد إلا أن يفتح الخط حتى ولو لم يقل حرفًا ، ومع ذلك لم يرد .

ــ إذًا كففتِ ؟

ــ لا ، انتظرت بضعة أيام ثم أرسلت له رسالة أخبره ألاّ يظننى معجبة ، وإنما أنا صحفية أريد أن أجرى معه حوارًا حول ألبومه الأخير ، ولكنه ــ للنحس ــ لم يرد .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ إذًا اكتفيتِ .

ـ لا ! انتظرت عدة أيام ثم أرسلت له رسالة أخبره ألاّ يظننى صحفية ، وإنما أنا شاعرة أريد أن أُسمعه الأشعار التى أكتبها علّه يغنيها ، ولكنه ـ كالعادة ـ لم يرد .

ـ يالكِ من مثابرة !

ـ أنا وراءه يا بنتى حتى يُجيب ويعرف كم أنا معجبة به ، أخبركِ شيئًا ، سيعرف سيعرف !

أومأتُ على الفور :

ـ بالتأكـــيد سيعرف .

ثم التفتُّ إلى (عصمت) :

ـ وأنتِ ماذا فعلتِ فى حكاية السفّاح ؟

ـ إن حكايته حكاية ، كلما ذهبت للقسم وطلبت من الضابط ، رؤيته رفض .

ـ ألا تُرينه كارنيه التدريب ؟

ـ أريه ، لكنه يظل يردد أن هذا غير قانونى ، مع ذلك يسمح لمراسلى القنوات الفضائية والصحف الكبرى !

ـ أقترح عليكِ أن تبحثى عن قضية أخرى ، فما أكثر الحوادث ببلدنا .

ـ مهما كثرت الحوادث فلا شىء يوازى سفك دماء النساء فى الطرقات ليلاً . إن الطريقة التى يمزّق بها ضحاياه ....

ثم أمسكت القلم ولوّحت به فى وجهينها :

ـ تيك ! تاك ! لتأسرنى !

هنا صاح المعيد :

ـ إن هذا السخف فاق الحد ! ألا تخجلن من الجلوس فى الصف الأول والثرثرة بلا انقطاع ؟ وكلما نظرت لكنّ أقول : الآن ينتبهن ، الآن يصمتن ، فقط لتتمادين . تفضلن للخارج .

Looloo
www.dvd4arab.com

قالت (عصمت) :

ــ لكن يا دكتور ...

أشار إلى الباب بحزم :

ــ تفضلن .

مشينا صفًا من البنات المهذّبات ، وحين خرجنا من الباب قالت (عصمت) بضجر :

ــ ألا يدَعونا مرّة نكمل محاضرة ؟!

نظرنا لبعضنا وضحكنا ... سألتنى :

ــ وأنتِ هل أنجزتِ مقالك عن (أمل دنقل) ؟

بادرَتها (مشيرة) :

ــ المحظوظة ليس عليها أن « تتشحطط » فى مقابلة الفنانين ــ الأوغــاد ــ المشــغولين دائمًا ، ولا المجــرمين المحبوسين دائمًا ، فقــط أن تجلس خلف مكتبها ، وتكتب عــن « ذكرى »

(أمل دنقــل) . لا أعــرف ، لماذا لم أتدرب فى صفحة الأدب مثلك !

عاجلتها (عصمت) :

ــ لأنه يجب أن تملكين بعضًا من صفات القسم الذى تتدربى فيه .

تساءلت (مشيرة) وهى تديرها فى رأسها :

ــ إذًا أنا فنّانة ؟

ثم أكدّت بسعادة :

ــ أنا فنّانة وأنتِ مجرمة ! هاهاها !

كوّرت (عصمت) قبضتها :

ــ أنا مجرمة يا فتاة !؟

لكم يصدّعان رأسى ، هتفتُ :

ــ اصمتا ! ألا تكفّان عن لعب دورى القط والفأر أبدًا ؟!

Looloo www.dvd4arab.com

التفتُ إلى (مشيرة) :

ــ الكتابة عن ذكرى (دنقل) ليست بهذه البساطة ، بل إن الأمر أكثر صعوبة من إجراء حوار أو نقل تصريح أدلى به أحدهم ؛ فأنا أصنع عالمًا كاملاً عن شخص راحل ، وليس أى شخص ، إنه (أمل دنقل) الذى أسرتنى أشعاره طيلة أيام حياتى ، احتضنتنى فى فراشى ، وغمرتنى فى صحوى جنبًا إلى جنب إلى كتب دراستى ، وصحفى ، وخطابات غرامى . (دنقل) ، ثورته ، رقته ، عشقه ، وجعه ، نبوءته ، ضباب عالمه ، كل هذا كيف يُكتَب يا (مشيرة) ؟

قالت (عصمت) :

ــ التى تهيم بمطرب ، والتى تهيم بشاعر !

ثم حوطتنا بذراعيها وقالت :

ــ إن لم تكونا مجنونتين فلأُقتل أو أُشنق !

قالت (مشيرة) متهكمة :

ــ إذًا لنكون عاقلتين مثلك ونحب سفّاحًا !

خطونا إلى بهو الكلية ، وتوقفنا أمام لوحة الإعلانات ، قرأتُ بصوت مرتفع :

ــ تعلن إدارة رعاية الشباب عن قيام رحلة يوم الاثنين ــ أى غدًا ــ إلى الأهرامات ، الحجز مع ...

قاطعتنى (مشيرة) :

ــ لنذهب .

تجاهلتها (عصمت) :

ــ ليس هناك خيارات أخرى غير الأهرامات ؟

عاجلتها (مشيرة) :

ــ بل سنذهب للأهرامات يا (عصمت) ..

ــ بل لن نذهب .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ سنذهب يعنى سنذهب .

ـ بل لن نذهب يعنى لن نذهب ، وإذا ذهبنا بعدها فلأُقتل أو أُشنق .

3

نظـــرة وابتسـامة

ـ اليوم الأول للأمنية ..

أيضًا ، للمصادفة ، معنا ساعة حتى المحاضرة ، هكذا دلفنا إلى الكافيتريا . رنّت صافرة رسائلى القصيرة ، فأدهشتنى رسالة غريبة على هاتفى المحمول ، هتفت بهما :

ـ انظـــرا !

التقطت (مشيرة) الهاتف وقرأت :

« ملاكى : أنا فى شمال الشمال » ..

ثم تساءلت :

ـ ما معنى هذا ؟

ـ لا أعرف .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هل تعرفين الرقم ؟

ـ إنه لا يظهر .

ـ علّها معاكسة ، لا تشغلى بالك .

طلبت لنا النسكافيه المعتاد ، ثم انغمست فى شجارها ـ المعتاد أيضًا ـ مع (مشيرة) ، حتى لحظة توقفت (مشيرة) عن الرد عليها ، فأدركتُ أن ثمة قوة خارقة أوقفتها . أشارت بطرف عينها إلى أحد الأشخاص متسائلة :

ـ لماذا ينظر هذا الفتى إلى (ليلى) هكذا ؟

وسألتنى :

ـ أتعرفينه ؟

هززتُ برأسى أن لا ، وإذ وصلت الطلبات صاحت (عصمت) :

ـ يا (أبو السّيد) يا جامد ! تحمل كل هذه الطلبات على يد واحدة ولا تهتز !

ثم مالت عليه تسأله :

ـ من هذا الفتى الجالس هناك ؟

ـ لا أعرف ، إنها المرة الأولى التى أراه فيها .

هو ليس رائع الجمال لكن شيئًا به يجذب ، ملامحه مألوفة كمصرى أصيل تتورط فيها بسهولة شديدة : أسمر ، نحيل ، بادى العظام ، ولكنّ عينيه ـ ويلى من عينيه السوداوين ـ تشعر لكأنهما تكشفانك وتعرفان ماضيك وحاضرك ومستقبلك ، نظراته مربكة من فرط جرأتها ، حين أنزل (سيد) طلباتنا أو قهوته كان ينظر لى ، وحين ننظر ثلاثتنا له يظل ينظر لى ، أمّا المرة الأخيرة التى نظر فيها لى فقد ابتسم أيضًا .

هنا انتفضت (عصمت) ، أمسكتُ و (مشيرة) بمعصميها بحركة تلقائية ، نحن نعرف جنونها مسبقًا ، لكنها أفلتت ، وذهبت إليه . دقّت على مائدته قائلةً :

- أهناك شىء يا أخ ؟

قام ببطء ، وقال :

ـ نعم ، معجب بصديقتك .

Looloo
www.dvd4arab.com

قالت متهكمة :

ـ هكذا إذًا ؟ وماذا تريد ؟

ـ أريدها .

كظمَت (عصمت) غيظها :

ـ أتعنى أنك تريد أن تتزوجها ؟

ـ لا ، لم أذكر حرفًا عن الزواج .

أمسكت ياقته بعنف :

ـ إذًا أنت وقعت فى الشخص الخطأ ، ولئن لم أجعل منك أضحوكة فلأقتل أو أُشنق !

حرر ياقته :

ـ لا تسيئى فهمى يا آنسة ، أنا فقط أريد أن أكتب عنها قصيدة .

هتفت (عصمت) مستنكرة :

ـ ماذا !!؟

ثم صمتَتْ تزن مدى مشروعية الطلب فى رأسها . كنت أقف على أطراف أعصابى على بعد خطوات منهما ، يرتجف قلبى فى انتظار قرارها ، وإذ تحدثَتْ أخيرًا قالت :

ـ نحن لا نحب كتابة القصائد فينا .

زفرتُ فى يأس . استدارت (عصمت) وأمسكت بمعصمى تجرّنى إلى الخارج ، صاح بى :

ـ انتظرى ! ما اسمك ؟

التفتُّ أنظر إليه فى حيرة ، منحنى ابتسامةً مطمئنة . جذبتنى (عصمت) جذبًا ، حملتُ ابتسامته على وجهى ومضيت معها حتى صرنا بالخارج فأنزلتها ، حررت معصمى ، وتوقفتُ أواجهها :

ـ من لا يحب كتابة القصائد يا (عصمت) ؟ لماذا استخدمتِ ضمير الجمع ؟

ـ هكذا إذًا ؟ أنتِ حرّة يا ستّى ، ولئن تدخلتُ لكِ بعدها فلأُقتل أو أُشنق !

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم رن هاتفها فردّت وقد حملت الغريب عصبيتها دون داعٍ :

ــ أفنـــدم ؟

انسحبت (مشيرة) تشترى بعض العلكة . نظرتُ إلى (عصمت) وقد تبدّل وجهها إلى الارتباك المصحوب بالذعر وهى تقول :

ــ أهلاً وسهلاً يا باشا .. أنا شديدة السعادة باتصال سيادتك .. تفضّل ..

ثم تحوّل وجهها إلى الاندهاش المصحوب بالبهجة :

ــ حقًّا ؟ حقًّا يا باشا ؟ هذا أسعد خبر سمعته بحياتى .. إننى لممتنة ممتـــ....

ثم قطعت حديثها وأنزلت الهاتف ، وبقيت واقفة فى وجوم ، صحتُ بها :

ــ ماذا حدث ؟

ــ أغلق الخط .

ــ بل ماذا أخبرك؟

ــ أخبرنى أنه ... سيسمح لى بملاقاة ....

ثم صمتت لحظة لتزيد الترقب :

ــ السفّاااح !

ــ واااو !

جاءت (مشيرة) ركضًا :

ــ لن تصدّقوا ما حدث ، منذ دقيقة واحدة حدّثنى ...

ثم صمتت أيضًا حسب الحيلة السابقة ، فغرتُ فاهى فى انتظار المفاجأة ، لن أصدّقها حتى أسمعها بأذنى منها ، تابعت بصوت فخيـــم :

ــ (سامر شهدى) !

ــ لاااا !

ظللتُ غير مصدّقة ، للحظة خيّم علينا الذهول ، ثم انفجرنا بالتهانى والضحك ، ودرنا معًا فى فراغ الجامعة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ معانا ريال .. معانا ريال .

دا مبلغ عال ومش بطال ..

للـــ .... للـــ .... لا .... للـــ.للـــ.لا...

توقفنا فجأة ، صوّبنا عيوننا المتسعة أنا و(مشيرة) ــ فى ذات اللحظة ــ نحو (عصمت) :

ــ الأمنيـــة ؟

قالت فى دهشة :

ــ يبدو أنها .

استدركت :

ــ فقد تمنيت أن نلقى أحبّاءنا .

أشرقت وجوهنا بالسعادة ، تشابكت أذرعنا وتابعنا طريقنا إلى المدرّج على نغمات الـــ « للـــ.للـــ.لا... »

وفى المحاضرة ، بالضبط لم يبدُ لنا المعيد رائعًا ، كان سخيفًا وله ذلك الطراز من الجمال المقزز ، كما لم يكن بارعًا فى

الشرح ، ولا يملك وسامة نجم ، ولا قوة سفّاح ، ولا رومانسية شاعر .

وحين رنّت صافرة لرسائلى القصيرة ، نظر إلى المعيد :

ــ ألم أطلب منكم إغلاق الهواتف ؟

ــ آسفة يا دكتور.

لكزتنى (عصمت) :

ــ هو ليس « دكتور » بعد ، إنه بالكاد معيد .

ثم حشـــرا رأسيهما بينى وبيـــن الموبايل يحاولان أن يطالعا الرســـالة معى ، لكنى دفعت برأسيهما لأتمكن مـــن القراءة ، فاختطفت (مشيرة) الموبايل وتطلعت فيه لوهلة ، قبل أن ترميه شاهقة ، فتناولته (عصمت) التى لم يكن أداؤها أفضل ، ثم تركاه لى على الطاولة ، وأنا أدير رأسى بينهما :

ــ ماذا هناك يا (مشيرة) ؟

ما الأمر يا (عصمت) ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

وهما ناظرتان أمامهما ولا تردان فيما بدا أنه تركيز مفاجئ فى الشرح ، فتناولتُ الموبايل وقرأت :

« أنا قادم من شمال الشمال .. لعينين فى موطنى ، موطنى »[1]

والتوقيع :

« (أمل دنقل) »

(1) رسالة من الشمال ، ديوان مقتل القمر .

4

لحـم ودم

ــ تابع : اليوم الأول للأمنية ..

صمتنا لآخر المحاضرة ، خلا المدرج إلا منا ، وأخيرًا هتفت (مشيرة) :

ــ مزحة ، إنها مزحة بلا شك !

أضاءت وجهها الفكرة :

ــ أو خدعة ... علّها (رجاء) التى لا تطيقك فى السماء ولا فى الأرض ، إنها مقهورة منكِ منذ ما حدث ولا تأتى الكلية إلاّ متسللة كلص ، إنها لا تستطيع أن تواجه انهزامها أمامك ، ولابد أنها هى من دبّر لهذا ، أليس كذلك ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

نظرَت إلى تنتظر الجواب ، لكنى بقيت أطالعها بنظرة ثابتة .

هتفَتْ :

ــ ما الأمر يا (ليلى) ؟ لماذا تنظرين إلى هكذا ؟ هل تشكّين بى ؟ إن قصص الرعب التى تكتبينها علّمتك الشك حتى بأقرب الناس ، وإنى لم أكن لأتوقع منكِ هذا !

ــ تــؤ !

أشحت بوجهى بعيدًا ، قالت (عصمت) :

ــ صهِ يا (مشيرة) ، لا تخرّفى ، (ليلى) لم تقل شيئًا .

ثم نظرت إلى وقالت :

ــ أنا مع (مشيرة) إن الأمر أبسط مما نتخيل ، وآجلاً أو عاجلاً سنكتشف صاحب هــذه اللعبة ولئن لم أنتقــم منه فلأُقتل أو أُشنق !

ــ لكن أنتما حصلتما على موعدين من المطرب والسفّاح ، الآن فقط ، وبعد الأمنية .

ــ محض صدفة !

أنفى برأسى فى يأس :

ــ هل تصدّقين هذا ؟

ربتت على كتفى :

ــ ليس بوسعنا شيئًا يا عزيزتى ، ننتظر ونرى .

دلفت (رجاء) كالعاصفة وقالت تمط حروفها :

ــ مبروك يا (ليلى) ، أرى أنكِ حصلتِ على الموضوع الذى أردته ..

صاحت (عصمت) بترحاب زائف :

ــ (رجــاء) ! ! لكِ وحشة يا فتــاة ، أكــل هــذه الغيبــة لأن رئيس القسم رأى أن (ليلى) أجدر منكِ بموضوع (أمل دنقــل) ؟

زمّت شفتيها ، لم تخفِ غلّها :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لكن كيف ؟! كيف ؟! أنا أجدر شخص بالكون بالكتابة عن (دنقل) ، رئيس القسم ارتكب خطأ كبيرًا يا (عصمت) . فى اجتماع التحرير استغرقتُ بالحديث عن (دنقل) ، قصائده ، سيرته ، ملامحه ، آرائه بالحياة ، فى حين بقيَتْ هى صامتة تنظر لى وتهز رأسها ! فكيف اختارها ؟! كيف ؟!

قالت (عصمت) بسخرية :

ـ هوّنى عليكِ يا فتاة ، أنا سأخبركِ كيف ... ما حدث أننا ذهبنا إلى مزار الأمنيات عند الأهرامات ، وحصلنا على عملة من عجوز متشرد ، فرميناها بالبئر وتمنينا أن يصبح (دنقل) لـ (ليلى) .. هاه .. ارتحتِ ؟

نظرت إليها (رجاء) من أسفل لأعلى قائلة :

ـ يا سلام !

هل يمكن أن أصدّق هذا الهراء ؟

وغادَرَتْ . ولم أشعر بتحسن بعد .

~

فى طريقى للبيت ، كنت غارقة فى خواطرى السوداء ، إلى أن وقع موقف غريب وجّه تفكيرى باتجاه آخر . رأيت على البعد سيدة فى منتصف العمر ترتدى تايورًا تصل تنورته إلى أسفل الركبة فى حين يتدلى جوربيها ، تسير بخطوات جادة ووقورة ، ويتبعها مجموعة من الشباب يغرقونها بفيض من التعليقات والضحكات ، وقد بدت مستاءة جدًّا وعلى وشك البكاء ، ثم إن سيّارة عبرت جوارها فأبطأت السير وفتحت الباب تدعوها للداخل ، وقد بدا عليها الارتباك غير أنها ولجت ، وابتعدت السيارة وسط تعليقات الشباب المشينة !

كنت قد وصلت إلى بداية شارعنا ، وهو ما بدا لى محببًا بعد هذا اليوم المُرهِق . غير أنى إذ أنظر إلى العمارة الجديدة التى تُبنى على الناصية رأيت تجمهرًا للمارّة ذوى العيون الخاشعة ، سمعت صيحات إيمان ، وترتيلات خافتة . اخترقت بينهم وثمة رائحة رهيبة بأنفى ، رائحة كرائحة الشوارع يوم عيد الأضحية ،

Looloo
www.dvd4arab.com

كان أحدهم ملقى على الرصيف ، وقد دثّروه ببعض أوراق جرائد ، لا تكفى لتستره .

يد على فمى ، والأخرى على قلبى ، وركضًا للبيت . صعدتُ مهرولة ، ألهث ، أعبُّ الهواء ، فتحت الشرفة هالتنى الملابس السوداء المرتصة على حبال جارتنا ، سدّ أذنى الصراخ فوصّدت النافذة وجريت على أمى ، وحدها من سيخبرنى كيف صار العالم بهذا الجنون ..

ــ أمى ، أمى ، ما الذى يحدث ؟ لماذا يصرخون ؟

كانت ترتدى عباءتها السوداء ، وتمسح أنفها الأحمر ، انتظرت دقائق قبل أن تقول :

ــ توفى زوج جارتنا . أنا ذاهبة للعزاء وعليكِ أن تأتى معى .

إن هذه الأحداث ــ فى مجموعها ــ لقريبة من ذاكرتى ، أشعر أنى رأيتها سابقًا ، أو بمعنى أصح : ارتسمت بخيالى سابقًا حين كنتُ قرأتها . جريت إلى غرفتى ، أخرجت ديوان (دنقل) ،

فررت الصفحات إلى قصيدة أعرفها جيدًا ، مررت بإصبعى على الأسطر :

« من شرفتى كنت أراها فى صباح العطلة الهادئ

تنشر فى شرفتها على خيوط النور والغناء

ثياب طفليها ، ثياب زوجها الرسمية الصفراء

قمصانه المغسولة البيضاء

تنشر حولها نقاء قلبها الهانئ

وهى تروح وتجيء

والآن بعد أشهر الصيف الردىء

رأيتها .. ذابلة العينين والأعضاء

تنشر فى شرفتها على حبال الصمت والبكاء

ثيابها السوداء ! »[1]

(1) الموت فى لوحات ، ديوان البكاء بين يدى زرقاء اليمامة .

Looloo
www.dvd4arab.com

كم رهيب ! فررت الصفحات بسرعة بحثًا عن قصيدة أخرى :

« وجه ..

من أقاصى الجنوب أتى ، عاملاً

للبناء

كان يصعد « سقّالةً » ويغنّى لهذا الفضاء

كنت أجلس خارج مقهى قريب ،

وبالأعين الشاردة ..

كنت أقرأ نصف الصحيفة ،

والنصف أخفى به وسخ المائدة

لم أجد غير عينين لا تبصران

وخيط الدماء

وانحنيت عليه .. أجس يده

قال آخر : لا فائدة

صار نصف الصحيفة كل الغطاء

وأنا فى العراء »[1]

ما الذى يحدث ؟ كيف تحولت شخصيات خياله إلى شخصيات من لحم ودم ؟ هل يمكن أن تتحقق قصائده ؟ إن بدواوينه قدرًا من الموت والدمار لو حل بالعالم لهو عين الخراب . ثم تذكرت أين قرأت المشهد الأول :

« جوارب السيدة المرتخية

ظلت تثير السخرية

وهى تسير فى الطريق

وحين شدّتها : تمزقت

---

(1) الورقة الأخيرة : الجنوبى ، ديوان أوراق الغرفة 8

Looloo
www.dvd4arab.com

فانفجر الضحك ، ووارت وجهها مستخذية

وهكذا أسقطها الصائد فى شباك سيارته المفتوحة

فارتبكت وهى تسوّى شعرها الطليق

وأشرقت بالبسمات الباكية ! »[1]

كيف يستجيب البشر لخطوات (دنقل) المرسومة منذ أكثر من ربع قرن ؟ كيف يضحّون بحياتهم بهذه البساطة ليصيروا بعضًا من قصائده ، أم أنهم لا يملكون الخيار ؟!

ولماذا الآن ؟ ولماذا فى محيط إقامتى بالذات ؟

كم واحد بالكون تحوّل إلى شخصية من شخصيات القصائد ، وكم واحد بعد على القائمة ؟

(1) الحزن لا يعرف القراءة ، ديوان البكاء بين يدى زرقاء اليمامة .

أم ... كان (دنقل) يجيد النبوءة ؟ هو عُرف بشاعر النبوءة لكثرة ما استخدمها كرمز فى قصائده ، فهل كان حقًّا متنبئًا ؟

وما شأنى أنا بكل هذا ؟ أنا لم أتمنَّ شيئًا ... ما كنتُ لأتمنى هذا الجنون !

Looloo
www.dvd4arab.com

5

حضور وانصراف

ــ اليوم الثانى للأمنية ..

إن ضوءًا يطرق بإصرار زجاج نافذتى القريبة إلى الفراش ، تتهيب له ، تقتحمها قبضته ، ينكسر فوق رأسى ، يزكم أنفى ، يمزق جفنى ، يسلب منى روحى الهائمة فى حلم أثيرى ، ويقصينى عن لينِ فراشى الريشى ، لضوء غبى !

ها هو الصباح الذى يذيب كلام الليل المدهون بالزبد .

ها هو الصباح الذى يستر المذعوبين ومصاصى الدماء والخُطْل .

وهو ــ لنحسى ــ أتانى أنا .

استرقتُ نظرة من خلف الشيش : الشارع حزين ، ودم الموتى لم يبرد ، لا مزيد من الموتى ، أتوسل .

فتحت النافذة بيدٍ ، وبالأخرى أخفى عينى تحسبًا للأسوأ ، ثم فرجت أصابعى قليلاً ، ثم رفعت يدى : حمدًا لله ، لا شىء . الشارع هادئ ، ويكاد يخلو من المارّة . لكنى إذ أرفع بصرى وجدت جارتنا فى الملابس السوداء واقفة تنظر لى بثبات ، أجفلت .

حاولت الابتسام :

ــ صباح الخير

ما تبدل شىء فى وقفتها ، رفعت صوتى قليلاً :

ــ تقبّلى تعازى ..

وجدتها وقد انطبعت أقسى علامات الألم على وجهها فجأة ، تنظر لى نظرة أرجفت قلبى وتقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لماذا لم تأتِ إلى لتعزّينى ؟

ذعرت وفاض الارتباك بصوتى :

ـ اعذرينى ، كنت متعبة ، سأزورك اليوم بعد الجامعة .

ثم أغلقتُ النافذة بسرعة وانسحبتُ . خرجت من غرفتى ، كانت أمى بالمطبخ تعد الشطائر ، ألقيت عليها التحية :

ـ صباح الخير يا أمى !

والتقطت زجاجة مياه وجرعت منها ، ثم أغلقتها وأعدتها ، والتفت مغادرة حين سمعت صوتها :

ـ صباح النور يا (ليلى) !

مع تقدم عمرها تتأخر استجاباتها قليلاً ، لا بأس . ارتديت ملابسى وأعددت حقيبتى وضمّنتها ديوان (دنقل) ، فما يبدو لى أنه البطل فى هذه الأحداث ، وغادرت .

أحتاج أن ألقى صديقتى كى لا أُجن ، أحتاج المشورة وأن نفكر معًا بصوت مرتفع ، هكذا ذهبت مبكرًا ساعة ـ كعادتنا ـ ورحت أخطو خطوات متسعة وأتنفس ملء رئتى ؛ فأنا أريد أن أصفّى ذهنى . حتى وصلتُ إلى ناصية الشارع حيث البناية الجديدة ، فتشتت ذهنى من جديد : غريب ألا ينقلوا جثة العامل للآن ، ولا حتى يغطّونه بأكثر من نصف الجريدة ! سأقف دقيقة حداد . زفرت زفرة طويلة . سكّنت أعضائى . وأسبلتُ نظرى عليه .

وقعت عينى على عنوان خبر بالجريدة : « يا شوارع القاهرة ... مات (أمل دنقل) » !

تعجبت ! جرت عينى بحثًا عن التاريخ بالصفحة ، ملت برأسى يمينًا فيسارًا حتى أتمكن من القراءة على الجسد المسجى ، صعقنى التاريخ : « 21 مايو 1983 » ، وانتفض جسدى على صوت صافرة الرسائل ، أخرجت الهاتف سريعًا وقرأت :

Looloo
www.dvd4arab.com

« اذكرينى !

فقد لوّثتنى العناوين فى الصحف الخائنة »[1]

كان جدير بى أن أرتجف ، أن أنفعل ، أن أبكى ، أهذى .. لكنى حُرِمت هؤلاء إذ استحوذ المشهد على حواسى جميعًا : الجريدة تنزاح ببطء ، القتيل يعتدل رويدًا ، وبصعوبة يحاول الوقوف .

صرخت صرخة مريعة انبحّ لها صوتى ، تركته من ورائى وركضت لا أرى أمامى ، ومن خلفى أسمع صوت حذائه يطرق الأرض بخفّة طرقات قصيرة سريعة متتالية فيما يبدو أنه استعاد نشاطه ، خطواته تقترب وقد أرهقنى الجرى ، ولا أحد يلوح لى بالشارع الخالى . أريد سيارة ، حافلة ، أى شىء أعلق به ، ولا أجد أى شىء .

(1) أغنية الكعكة الحجرية، ديوان العهد الآتى .

التفتُّ أنظر إليه بينما أجرى ، مع سابق علمى أنه يتبعنى ، ثم أرتد ببصرى فأصرخ إذ أصطدم بشىء ، كانت سيدة وقورة وقد هالها أن ترانى بهذا الشكل :

ــ ما لكِ يا ابنتى ؟

تابعت صراخى وزدت . وأكملتُ ركض ، لقد كانت سيدة الجوارب المرتخية ، لا أعرف ماذا أفعل ، سيكون من الجنون أن أقفز فى حافلة لأجد أن كل ركّابها : « منهم » ، وسيكون من الإجحاف أن أسقط الآن من الإعياء فينالوا منى ، ويبدو أننى ظللت أستبعد الخيارات وأنا أركض حتى وصلت إلى الجامعة ، فلم أعد بحاجة إليها .

دلفت من البوابة رأسًا إلى الكافيتريا بحثًا عن صديقتى ، وحين وصلت إليها تعلّقت بالباب ورحت ألتقط أنفاسى بسرعة ، ثم التفتُّ أبحث عن القتيل : وجدت أنه قد تبعنى إلى داخل الجامعة ، أغلقتُ الباب بعنف ، وألجأتُ إليه ظهرى ، ثم ملت بجذعى أنظر من النافذة دون أن أغادر موضعى : فوجدته يجلس

www.dvd4arab.com

على الأريكة المقابلة لبـاب الكافيتريا ، ثم يُخرج الجريدة من تحت إبطه ويتسلى بقراءتها ، ألا ينوى أن يتبعنى للداخل؟

جاءنى النادل مستغربًا :

ــ ما لكِ يا آنسة (ليلى) .. لماذا تلهثين هكذا ؟ وإلامَ تنظرين؟

ــ لا شىء يا (سيد) ... أين (عصمت) و(مشيرة) ؟

ــ للتو غادرا .

صحت :

ــ غادرا ؟ كيف غادرا ؟!!

أجاب بدهشة :

ــ لابد أن لديهما محاضرات !

نظرتُ فى ساعتى فوجدتُ أنى تأخرتُ ساعة ، ركلتُ الهواء بقدمى . هل أضطر إلى الخروج ثانية بينما القتيل منتظر بالخارج ؟

همّ (سيد) ليفتح باب الكافيتريا لكننى تشبثتُ به ورحت أولول فى هيستيريا :

ــ لا يا (سيد) .. أرجوك ....

وبدأت فى البكاء ، وأنا أختلس النظر للقتيل الذى لازال يقرأ ، وأردد لـــ (سيد) أن هذا الرجل ميت ويتبعنى ، فى حين يحاول هو إثنائى وزحزحتى عن الباب . كان ذلك من المواقف التى أتمنى محوها من حياتى لشدّة الإحراج ، لكن من حسن ــ أو سوء ــ الطالع أنه لا يوجد من يعرفنى هنا ، كنت أشعر أنى حبيسة وغريبة ، ولا أدرى إلى متى قد يتحملنى (سيد) أو صاحب الكافيتريا ، ولا ماذا ستكون الخطوة القادمة ، وذلك حين سمعت :

ــ دعها يا (سيد) .. أنا سأعنى بها .

كأننى أعرف الصوت . التفتُ متلهفة لمعرفة من ، فكان الفتى الأسمر الذى قابلناه بالأمس ، والذى بدا لى فى هذه اللحظة من الوحدة والذعر كأننى قابلته من ألف عام ، وكم بذلت من مجهود كى لا أرتمى بحضنه ، نظر لى بعمق وقال :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ اهدئى .. لا تخافى ..

ثم أمسك بذراعى يقتادنى إلى طاولة ، وجلس أمامى يسألنى :

ـ ما الذى حدث ؟

لم أخفِ شيئًا ، لم أكن قد تعلمتُ بعد دهاء المتسترين على نصف الحقيقة ، ولم يقل شيئًا ، لكنه كان مستمعًا جيدًا ، بين الحين والحين يمنحنى همهمة ، ثم تذكر شيئًا فقال :

ـ أمس ، قبل أن تغادرى ناديتك : « انتظرى .. ما اسمك ؟ » لكنكِ لم تجيبى .

ـ أعتذر عن هذا ، كان عندنا محاضرة و... ، على أى حال ، اسمى ...

قاطعنى :

ـ دون أن أعرفه ، كتبتُ لكِ القصيدة كما وعدتك ، أتحبين أن تسمعيها ؟

ـ نعم ، بالتأكيد ، أتوق لذلك .

انطلق يقول :

ـ « انتظـــرى .

ما اسمك ؟

يا ذات العيون الخضر والشعر الثرى

أشبهتِ فى تصورى

بوجهكِ المدوّرِ

حبيبة أذكرها أكثر من تذكّرى »

استوقفته :

ـ هذا رائع جدًا فقط هناك ملاحظتان . أولاً : أنا عيونى سوداء وليست خضراء ، لذلك من الصعب أن نقول أن هذه القصيدة عنّى . وثانيًا ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم أخرجت الكتاب من حقيبتى ، وفررت الصفحات إلى إحدى القصائد قائلة : وثانيًا هذه القصيدة اسمها (شبيهتها) وهى من ديوان (مقتل القمر) لـ (أمل دنقل) ، ولذلك من الصعب أن نقول أنها لك .

كنتُ أعرف أنه ليس من اللياقة أن أقول ما قلت ، لكن يجب أن يعرف أيضًا أنه ليس من الأدب أن يسطو على قصائد غيره ، وليس من المهارة أن يغشنى ، وبالإضافة لهذا فإنه ليس من الذكاء أن يختار قصيدة عن فتاة لا تشبهنى !

تعلقت عينه بالكتاب والتقطه يطالعه بنهم ، وهو يردد بانبهار :

ـ الأعمال الكاملة ؟!!

ثم رفع رأسه بثقة :

ـ عزيزتى .. أنا لم أسرق !

آه ... ها هو ينكر !

ـ أنا لم أسرق من (أمل دنقل) ، لأنى ـ ببساطة ـ (أمل دنقل) .

♪

« التحيّاتُ :

(مساء الموت يا قلبى)

فلا تلقِ التحية !

ـ من تُرى مات ؟

ـ أنا .

ـ أنت ؟

ـ أجل . »[1]

♫

(1) العشاء الأخير ، ديوان البكاء بين يدى زرقاء اليمامة .

Looloo
www.dvd4arab.com

6

شمال وجنوب

ــ تابع : اليوم الثانى للأمنية ..

لم أحاول أن أبدى أى انفعال ، أو آتى بحركة مفاجئة ، فقط انتقلتُ بعينى إلى القتيل خارج الكافيتيريا ، كان الآن ممددًا على الأريكة متدثرًا بالجريدة فيما يبدو أنه ملّ الانتظار . وازنتُ بين الخطرين ، ثم قمتُ سريعًا وانطلقتُ عابرة الفتى والقتيل إلى الكلية . لا أعرف أى المحاضرات عندنا اليوم لكن يجب أن تكون واحدة من الطراز الذى يسمح محاضروه بالدخول فى المنتصف ، يجب ، يجب .

دلفتُ فجلستُ جوار (عصمت) و(مشيرة) دون كلمة . لا أقدر أصلاً أن أنطق ، صاحت (مشيرة) :

ــ أين كنتِ ؟ ولماذا تأخرتِ ؟

ــ فيما بعد ، فيما بعد .

قالت (عصمت) :

ــ حسنًا يا ستّى فيما بعد ، لكن على الأقل دعى هاتفك مفتوحًا نطمئن عليكِ .

ــ هو كذلك .

ــ لكنّا نطلبك فيقولون أنه « خارج نطاق الخدمة » !

أضحك ربع ضحكة :

ــ لا عليكِ ! علّه لا يلتقط إلاّ إشارات العالم الآخر .

ــ يبدو أن رسالة أمس تؤثّر عليكِ .

التفتُّ لها بحدّة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ قلتُ لكِ : لا عليكِ .

لا أدرى ما أصابنى ، أعصابى متفلتة جدًا وهى لحوح جدًا ، تمعّنتْ (عصمت) بالنظر إلى عينى ، بحثتُ عن كلمات اعتذار ، لكنها بادرتنى :

ــ ما أجمل هذا اللون ! إن العدسات الخضراء تليق عليكِ كثيرًا .

نظرتُ فى ذهول ، وصوت (مشيرة) فى أذنى :

ــ أرنى يا (ليلى) ! أرنى يا (ليلى) !

سقطت الدمعة من عينى الخضراء .

لا أعى شيئًا من المحاضرة ، من (دنقل) ، من العالم .

أتطلع إلى الدكتور بوجهٍ قد تجعد موشكًا على البكاء ، لكنى لا أبكى .

أغيب بعوالم أخرى ..

أفكّر بمستقبلى ، نعم ، نعم ، مستقبلى المهنى :

سأكون صحفية ، أو ربما مذيعة شهيرة ، وسأعد برنامجًا تليفزيونيًا يشجّع الأطفال على التجريب بأنفسهم .

عزيزى الطفل

جرّب أن تُحضر جثة

توفّر لها بيئة حرارية مرتفعة

ثم سجّل ملاحظاتك على الجثة .

ستلحظ بأول يوم ظهور طفح جلدى بمنطقة البطن

ينتشر لاحقًا بباقى الجثة .

وستجد هذا الطفح لونه أخضر .

جرّب بنفسك .

عزيزى الطفل

جرّب أن تشاهد فيلمًا مرعبًا

انتقيه عن موتى أحياء أو ممسوسين أو كائنات فضائية .

Loulou
www.dvd4arab.com

تفحّص الوحوش بتلك الأفلام

إذا ما اقتربت من البطل وتقيأت على وجهه

وستجد هذا القيء لونه أخضر .

جرّب بنفسك .

ـ ما لون عفن الخبز والطحالب فى البرك يا أطفال ؟

ـ لونها أخضر .

ـ ما لون الأمير الذى سُخط ضفدعًا يا أطفال ؟

ـ لونه أخضر .

ـ وإذا أردنا شراء أسوأ بذلة ممكنة حين نصير كبارًا ؟

ـ لونها أخضر .

يع !

لم يجد غير اللون الأخضر !

~

بعد المحاضرة ، أجلس فى بكائى لا أكتفى منه ، تضرب (عصمت) كفيها ببعضهما :

ـ إن ما تقولينه لأغرب من الخيال يا (ليلى) ! هل أنتِ متأكدة أنه هو (دنقل) ، أعنى ... لا أدرى ، على الأقل هل يشبهه ؟

ـ وما أدرانى ! إنه شاب صغير يصغر على الأقل بعشرين عامًا عن (دنقل) الذى أعرفه .

أرفع عينى لفترة ليست بالقصيرة تجاه (عصمت) ، ثم أخفضها وأقول :

ـ ها قد تمنيتِ أنتِ ، وحلّت بى الكارثة يا (عصمت) .

تدخلت (مشيرة) تربّت على كتفى :

ـ ليس وقت هذا الكلام يا (ليلى) ، يجب أن نجد حلاً .

هبّت (عصمت) واقفة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أنا سأذهب إليه ولئن لم ألقنه درسًا فلأُقتل أو أُشنق !

قالت (مشيرة) فى سخرية :

ـ ما الذى ستفعلينه يعنى ؟ ستقتلينه ؟

ثم جذبتها للمقعد :

ـ أخبرك شيئًا ؟ إنه ميّت سلفًا !

جلست (عصمت) فى يأس ، قلتُ :

ـ يجب أن أجلس معه .

صاحت (عصمت) :

ـ أجننتِ يا (ليلى) ؟

ـ يجب أن أتحدث معه لأعرف ماذا يريد ، علّه لا يزال فى الكافيتريا .

قالت (مشيرة) :

ـ إذًا ، هيّا بنا .

ـ بل وحدى يا (مشيرة) ، لا أريد أن يتسبب نزق (عصمت) فى المزيد من المشكلات .

قالت (عصمت) :

ـ هكذا إذًا يا (ليلى) ؟

التفتُّ إليها بحدّة :

ـ أنتِ تصمتى تمامًا ، أنتِ من تسبب بكل هذا .

جزّت (عصمت) على أسنانها فيما تبتلع كلماتها ، هببتُ واقفة ، وتقدمتُ بضع خطوات ، قبل أن أتوقف ، وألتفت إليهما :

ـ حسنًا ، ابقيا جوارى ، لكن من بعيد .

وبالكافيتريا بالكاد أجلسنا (عصمت) إلى مائدة قريبة مع (مشيرة) . فى حين اتجهتُ إليه ، كان منكبًا على كتابة شىء ما ، وبش لى حين رآنى :

ـ مرحبًا يا ذات العيون الخضر ، عرفتُ أنك ستعودين .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ما الذى تريده بالضبط ؟

ـ أريد عينيكِ .

ـ عينى ؟!

ـ أجـل .

ـ أنت مجنون !

قلتها له إذ أقوم ، ولكنه أمسك بمعصمى بلطف :

ـ فقط انتظرى ..

أجلسنى ولازال ممسكًا بمعصمى فى حين أشار إلى (عصمت) بيده الأخرى :

ـ لقـد سألتنى صديقتك هـذا السـؤال مـن قبـل ، وقلتُ لها أن كل ما أريد أن أكتـب قصيدة فيكِ . وقـد كتبتها ، أليس كذلك ؟

ـ بلى .

ـ وقرأتها عليكِ أيضًا ، ألم أفعل ؟

ـ بل فعلت .

ـ وهل أجبرتكِ على سماعها ، أم سمعتِها بإرادتك ؟

قلت فى ذعر :

ـ بإرادتى ، وهل يعنى ذلك شيئًا ؟

ـ يعنى أنكِ صرتِ لى .

ـ أى هذيان تهذينه ؟!

قذف بيدى من بين أصابعه :

ـ أنا لا أهذى . ولا أريد شيئًا . أنتِ من بحث عنى الآن ، وجاءنى وليس أنا . وأنتِ من دعانى من رقادى فى سلام وجلبنى إلى هذا العالم العفن فلم يعد بوسعى الفرار ثانيةً . أنا لا أريد شيئًا . يمكنك أن تذهبى الآن للبيت وتمارسى حياتك بعيدًا عنى ، لن أتبَعك .

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لكن حياتى تبدّلت منذ رأيتك ، شخصيات قصائدك تطاردنى والموت فى كل صوب . أين عينى السوداء ، وكيف أصبحت فجأة خضراء ، فأى لعنة تسببت لى فيها بقصيدتك ؟ إننى أتحول لواحدة منهم !

ثم بدأت فى البكاء :

ــ إننى أتعذب فى كل لحظة وأنت تقول أنك تفعل كل هذا دون سبب ، فعلى الأقل قل لى السبب .. هل تريد أن تقتلنى ؟ أمن أجل هذا أرسلت خلفى قتيل قصائدك هذا الصباح ؟

سارع بالنفى :

ــ ما كان يملك أن يقتلك ، وما كان يقدر أن يلمسك .

همّ ليقول شيئًا ... بسط كفيه وضمهما على لا شىء ، وأخيرًا قال :

ــ أنا أريد أن أخلّدك ، وتقولين : أقتلك ؟!

لو أنك قرأتِ (رسالتى من الشمال) لعرفتِ أننى :

« أردتك قبل وجود الوجود ،

وجودًا لتخليده لم أنِ . »

الكل يبحث عن الخلود ولا أحد يناله سوى أبطال الخيال .

(كليب) مات لكن وصاياه التى خططتُها خالدة .

(سبارتاكوس) مات لكن كلماته التى نظمتُها خالدة .

عيون محبوبتى الخضراء ــ التى تزعجك ــ خالدة ،

أنا متُّ ، لكن قصائدى خالدة .

ثم تنفس بعمق بينما يقول :

ــ قلتِ لى (مجنون) ، قلتِ لى (أهذى) ، وقد وصفتِ شعورى حقًا حينها ، ماذا تنتظرين من صعيدى من جنوب الأرض ، يحيلونه فجأة إلى شمال الشمال ؟!

أنا ملتُ إليكِ ، منذ وصلتنى دعوتك فى رقادى العميق فى شمال السماء ، كم عام مرّ ولمّا يذكرنى أحد ، لا أمسية أقيمها ،

Looloo www.dvd4arab.com

لا معجبة تطلب توقيعى ، ولا مُلهِمة تلهمنى حرفًا ... وقد بدأت أظن أننى مت !

ــ أنت ميت بالفعل .

ــ لا ! لم تسمح لى دعوتك بهذا الشرف ، أنا معلّق بين الموت والحياة ، وإذا كان على أن أبقى فى الأرض فلأصنع مملكتى من الخالدين ، من أحرفى ، من خيالى ، من عذابات سنينى ، من كل من جُرحتُ بهم حتى نزفتُ قصائدى .

أردتُ مليكتها لى فى الأرض ، أكون مليكها . ولأنى أحببتك ، أردتكِ أنتِ مليكتها ، زينتها ، محبوبة (أمل دنقل) ، فهل أخطأت ؟

ــ أنت لا تدرى بأى قدر أخطأت . أنت قتلتنى وتسألنى ، أخطأت ؟ من غير الممكن أن أسامحك أبدًا .

ــ أعرف أنكِ مستاءة الآن ، لكنها ساعات ، ساعات بعد سماعك القصيدة حتى يكتمل تحولكِ إلى فتاة قصائدى الخالدة ، وحينها ستنعمين بالسعادة والرضا ، ككل من يطاردونك ، كلهم تخلصوا من بؤس حياتهم ، كلهم سعداء . وأنتِ ستكونين الأسعد؛ أنتِ مليكتهم ، ومليكتى .

وحينها ، ستدعينى أحصل على عينيكِ راضية ، كما سمعت قصيدتى راضية . وسنهجر هذا العالم القاسى ، لنعيش أسعد شبحين فى المقابر ، فعدينى يا (ليلى) ، عدينى أن تمنحينى عينيك ..

هببتُ واقفة :

ــ أعدك أنى سأجعلك تندم على كل حرف .

غادرتُ ، تتبعنى (عصمت) و(مشيرة) تهتفان :

ــ ماذا قال لكِ ؟

ــ ماذا فعل بكِ ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

وأنا ... منشغلة عنهما ، أحصى المدعوّين ، أعدّ المقاعد داخلى ، وأوزّع القهوة السادة .. ألطم بلا يد .. وأندب بلا فم :

يا ويلكِ يا (ليلى) !

يا وجعكِ يا (ليلى) !

قتلوكِ يا صغيرة

ذبحوكِ يا حبيبة

دفنوكِ وأنتِ حيّة !

أنا !

أنا .... لم يجدوا غيرى أنا !!

♪

« أنا الذى ما ذقتُ لحم الضان .

أنا الذى لا حول لى أو شان

أنا الذى أُقصيتُ عن مجالس الفتيان

أُدعى إلى الموتِ ، ولم أُدعَ إلى المجالسة ! »[1]

♪

قالت (عصمت) :

ــ صهِ ، لا تندبى مثل النساء ! سنذهب الآن حالاً للمزار ، ونجد العجوز .

(1) البكاء بين يدى زرقاء اليمامة ، ديوان البكاء بين يدى زرقاء اليمامة .

www.dvd4arab.com

7

كـرّ وفــرّ

ـ تابع : اليوم الثانى للأمنية ..

« ها نحن يا أيلول

لم ندرك الطعنة

فحلّت اللعنة

فى جيلنا المخبول »[1]

(1) أيلول ، ديوان البكاء بين يدى زرقاء اليمامة .

بحثنا فى كل مكان ، نادينا وأرهفنا السمع للصدى ، تبعنا حتى أنوفنا ، لكنّا لم نجده . وفى اللحظة التى كففنا فيها عن الأمل ، ظهر على باب مخدع : منتصب القامة لا انحناء ، مفتوح العينين لا انغلاق ، ولا عكّاز ، ولا عَجَز .. ولا شىء .

لم أعرفه إلاّ حين التقط عصّاه ، ردّ الباب ، انحنى ، أغمض عينيه ، ثم بسط يده قائلاً :

ـ لله .. امنحونى شيئًا لله !

جرينا إليه :

ـ يا عمّ ! نحن التقيناك سابقًا ومنحتنا عملة ، أتذكرنا ؟

فتح إحدى عينيه وتفحّصنا ، ثم أزاحنا بيده قائلاً :

ـ لا !

تابع مسيره ، فتبعتُه :

ـ بل التقينا ، تذكّر جيدًا . نحن خلّصناك من يد الفتيات ، ومنحناك نقودًا ، وأنت منحتنا عملة للتمنى .

Looloo
www.dvd4arab.com

وكأنه لم يسمعنى :

ــ لله يا محسنين ... لله ..

قلتُ بإصرار :

ــ أنا أريد منك عملة أخرى لإصلاح ما أفسدته الأمنية السابقة ، وسأعطيك كل ما تريد ، أى مبلغ مهما كان !

مد صوته فى مسكنة :

ــ لله !

أخرجتُ من حقيبتى كل ما كنتُ أملك من مال ، ووضعته فى يده ، فما طوى يدًا عليه وتركه يسقط ، واهتزت رأسه يمينًا ويسارًا فى تصوّف :

ــ لله ! لله ! لله ! لله !

نفد صبر (عصمت) ، أمسكت بياقة جلبابه وقرّبته إلى رأسها :

ــ أنا سأعطيك شيئًا لله ، سأعطيك لكمة تكفيكَ لعمرك كله .

حلتُ بينها وبينه :

ــ انتظرى فقط أرجوكِ ، علّه يمنحنا العملة .

ثم التفتُّ إليه أقول :

ــ يا سيّدى نحن أحسنا إليك ، وأنت أسأت إلينا ، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟

ارتسمت على شفاهه شبه بسمة ، وقال :

ــ أنتن تردن العملة ، لكن هل فكرتن أن الأمنية إذا توقفت ، ستتوقف عنكن جميعًا ؟

قالت (عصمت) بنفاد صبر :

ــ لا شأن لك بما ليس لك به شأن ، فقط هات العملة .

نظر إلى (عصمت) بعمق ، وقال :

ــ هل تضحين بفارس أحلامكِ الذى أحببته برغم الأسوار ، بعدما لم تبقَ سوى ساعات لتلاقينه وجهًا لوجه ؟

والتفتَ إلى (مشيرة) :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ وأنتِ ، هل تخسرين حب عمرك الذى همتِ من صورٍ وانعكاسات ، فيما بعد قليل ، سترينه بلحمه وشحمه ؟

نظرت (مشيرة) للأرض ، قالت (عصمت) جازّة على أسنانها :

ــ كيف عرفت أمنيتنا ؟

ــ إنها أشياء بديهية ، كل الفتيات يتمنين الزوج يا (عصمت) .

قالت (عصمت) حاكّة يديها ببعضهما ببطء :

ــ وكيف عرفت اسمى ؟

التمعت عينه بالغضب :

- أنتِ تسألين أسئلة غبية ! كيف تسألينني (أنا) ، كيف عرفت ما عرفت ؟!

ثم تضخم صوته ليهز المكان :

أنـــا ... ،

لا أسأل كيف عرفت !

قالت (مشيرة) بصوت راجف :

ــ ومن أنت ؟

وفى لحظة وجدتُ ديوان (أمل دنقل) الذى كان بحقيبتى فى يديه ، مفتوحًا على إحدى الصفحات ، ويقرأ من أول السطر :

ــ « المجد للشيطان معبود الرياح !

من قال : لا ، فى وجه من قالوا : نعم

من علّم الإنسان تمزيق العدم

من قال : لا ، فلم يمت

وظل روحًا أبدية الألم ! »[1]

وقفنا كأن على رءوسنا الطير ، ينقر منها ، قطعة ، بقطعة ، هذا مُشوّش . لم أستجمع ما قال بالضبط ، قال شيئًا مثل : « لماذا يا إنسان ، تطيع الشيطان ، حين يشجّعك على التمنّى الذى يُفسدك ؟ »

(1) كلمات سبارتاكوس الأخيرة ، ديوان البكاء بين يدى زرقاء اليمامة .

www.dvd4arab.com

قال : « لماذا لا تطيع ربّك حين يقول : (عندك ما يكفيك ، وأنت تطلب ما يُطغيك) ؟ »[1]

وأظنه أيضًا تساءل مستنكرًا : « ألا تحفظون هذا من خلف الواعظين ؟ »

ثم استدار فى وهن ، مرددًا :

ــ ياللإنسان ! ياله !

وراح يبتعد : خطوة ، بخطوة ...

♪

« وتعرفُ أنت ..

ماذا يفعل المغلوب مثلى

حين يوليه العدو الظهر

وفى كفّى بقايا سهم ! »[2]

♫

(1) حديث قدسى : « ابن آدم ، عندك ما يكفيك ، وأنت تطلب ما يُطغيك .. لا بقليل تقنع ، ولا من كثير تشبع .. إذا أصبحت معافى فى جسدك ، آمنًا فى سربك ، عندك قوت يومك ، فعلى الدنيا العفاء . »

(2) قلبى والعيون الخضر ، ديوان مقتل القمر .

شعرتُ بكل الحقد داخلى يثور ، لتكن الشيطان أو لتكن من تكون ، جريتُ وراءه فانقضضت عليه أوسعه بقبضتى وهو ينحنى ويرفع يديه متحاشيًا ، وتبعتنى (عصمت) و(مشيرة) تضرب كلاً منّا ما استطاعت منه ، وكان ذلك حين تدخلت فتاة طولاً وعرضًا دفعت كل منا إلى جانب بخبطة من ذراعها ، وقالت فى غلظة :

ــ إيّاكن أن تمدن أياديكن فوق هذا العجوز وإلا لن تعرفن ما أفعل بكم ! لم تعد بالقلوب رحمة !

ومن خلفها جاء ضابط الأمن متسائلاً :

ــ ماذا يحدث بالضبط ؟

بادره العجوز بوهن :

ــ لا شىء ، لا شىء .

قال الضابط :

ــ إذًا فضّوا هذا التجمع ، وليذهب كلٌ إلى حال سبيله .

Looloo
www.dvd4arab.com

♪

« قد حلّت اللعنة

فى جيلنا المخبول

فنحن يا أيلول

لم ندرك الطعنة ! »[1]

♫

(1) أيلول ، ديوان البكاء بين يدى زرقاء اليمامة .

8

عاشق ومعشوق

ــ اليوم الثالث للأمنية ..

إن ضــوءًا يطــرق برفــق زجاج نافذتى القريبة إلى قلبى ، تفتــح له صدرها ، يخطــو على أطــراف أصــابعه ، يهدهد عينى ، يتشــمم عطرى ، يُفتِّح جفنى ، يعيد إلى روحى التائهة فى قبــر أثيرى ، وينجينى من شوك فراشى الصخرى ، لضوء عبقــرى !

ها هو الصباح الذى يأتى بعد طول الليالى القِباح .

ها هو الصباح الذى يحمل البركة والغنيمة والرباح .

وهو ــ لسعدى ــ أتانى أنا .

Looloo
www.dvd4arab.com

ماذا بالكون أروع من أن أكون معشوقة (أمل دنقل) ؟ (أمل دنقل) !؟ هاهاها ... لازال شيء بداخلى غير مُصدّق ، قالتها جدتى فى يوم مولدى : « هذه فتاة محظوظة ! » .

أتطلع إلى المرآة : هذى العيون الخضراء لتأكل من وجهى قطعة ! الأخضر : لون الخير ، لون البساتين ، لون القلوب النقية ، لون طفولة الأشياء . إشارة العبور خضراء ، الدولارات خضراء ، اتصال الأصدقاء على الماسنجر أخضر ، وأنا عيونى خضراء .

أنا عيونى خضراء ، وأنت لا !

فتحت النافذة على اتساعها أنهل من الهواء ، طالعتنى جارتنا المتسربلة بالسواد . كانت مبتسمة للفراغ ، واتسعت الابتسامة على فيها أكثر :

ــ صباح الخير يا رفيقة !

بادلتها الابتسام والتحية ، إنها طراز الجارات الذى تحبه فور أن تراه . ذهبتُ إلى المطبخ ، قلتُ بطرف فمى :

ــ صباح الخير !

أعرف أنها لن تجيبنى حتى أستدير مغادرة ، ولقد ضجرت بهذه الطريقة التى تعاملنى بها ، وإننى لم أعد حقًا راغبة فى الحياة مع من يتجاهلوننى .

استعددتُ ونزلتُ سريعًا لألحق موعدى المعتاد قبل المحاضرة بساعة ، وفور وصولى الجامعة دلفتُ إلى الكافيتيريا . لمحتُ تلك السمجة ذات الاسم الذكورى (عصمت) ، وصديقتها الخليعة التى تُدعى (مشيرة) يلوّحان لى ، أدرت وجهى عنهما وذهبتُ رأسًا إلى مائدة (أمل) .

جاءانى مستنكرتين :

ــ (ليلى) !

زفرتُ واستدرت لهما :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أفندم ؟

قالت (عصمت) :

ـ ما الأمر .. ألا ترينا ؟

ـ لا ، لم يحدث لى الشرف . هل تسمحان أن تتركانى أتحدث قليلاً إلى خطيبى ؟

جذبت (مشيرة) ذراع (عصمت) وقالت بأذنها :

ـ هل سمعتِ لفظة « خطيبى » ؟

ـ إنها تبدلت تمامًا ، إنه يستولى عليها .

بدأت (مشيرة) فى البكاء ، فجذبتها (عصمت) وجلستا فى الركن يراقبانا علنًا .

المخبولتان !!

ألقى على (أمل) قصيدة جديدة تحمل المزيد من الإعجاب بعينىّ الخضراوتين ، ثم قال :

ـ سأقيم الليلة أمسية شعرية صغيرة فى المقابر ، ومن الضرورى جدًا أن تحضر المليكة حفل التتويج .

ـ وماذا تعنى بحفل التتويج ؟

ـ بعد أن ألقى قصيدتى ، سنقوم ببعض الطقوس التى تُتمم تخليدنا ، أشياء روتينية لا تنشغلى بها ، يمكنكِ أن تسمينها طقوس ولاء ، أعرف من خلالها مَن مِن شخصيات خيالى يستحق الخلود ومن لا . وبعد الحفل ، سيكون لنا أن نحيا معًا إلى الأبد ، أنا وأنت وأسرتنا الصغيرة من الخالدين ، اتفقنا ؟

ـ بالتأكيد .

لكم رائع أن أحصل على موعد غرامى كما حصلت الفتاتان ، فإن أحدًا ليس أفضل من أحد ، ولكن لأن الحقد يملأ قلبيهما فقد هبّت تلك الـ (عصمت) قائلة :

ـ أنا لا يمكن أن أسمح لكِ بالذهاب إلى هذه الأمسية .

هنا وجدتُ أن سخفها قد فاق الحد :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لتعلمى أنه لا شـأن لك ، ولئـن لم أوقفنّك عنـد حدّك يا (عصمت) فلأقتل أو أُشنق !

~

قضيتُ اليوم مع (أمل) نتبادل الأحاديث والذكريات . فحكى لى عن لقائه بزرقاء اليمامة ، وشهادته لمقتل القمر ، والرخ الذى حمل جثة ديسمبر ، وحدّثنى عن حلمه الذى لم يكتمل باستكمال انتقام الأمير (سالم الزير) لأخيه (كليب) ، حيث لم يسعفه العمر .

كان بسيطًا ومُجاملاً وآسرًا بحديثه العذب . وفى المساء ، تحركنا معًا إلى الأمسية . جلستُ فى الصف الأول وقد صعد إلى المنصة . للحظة شعرتُ بالغربة قبل أن أجد وجوهًا أعرفها : جارتنا ، وسيدة الجورب المرتخى ، وعامل البناء ، وآخرون كنت أراهم بالطرقات دون أن أعرف أنهم عشيرتى ، والمئات غيرهم ، سعداء مبتسمين متآلفين كأسرة .

وقد مدّ إلى أحدهم يده مصافحًا فأجفلتُ ، كان ضامر العنق بارز العينين مبتسمًا :

ـ مرحبًا ..

التقطت يده بوجل :

ـ مرحبًا ..

انحنى على قائلاً :

ـ أُعرّفُكِ بنفسى :

« مُعلّقٌ أنا على مشانق الصباح

وجبهتى ، بالموتِ محنيّة

لأننى .. لم أحنها حيّة ! »[1]

صحت على الفور :

---

(1) كلمات سبارتاكوس الأخيرة ، ديوان البكاء بين يدى زرقاء اليمامة .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ (سبارتاكوس) ، لكم تمنيتُ لقاءك ، أنت أروع ثائر قرأته بحياتى .

دقّ (أمل) بيده على الطاولة معلنًا :

ـ صمتًا ! سنبدأ !

اتخذ الجميع أماكنهم ، وخيّم السكون على المكان ، مال إلى (سبارتاكوس) قائلاً :

ـ إنهم يطيعونه كظله ، ويخشونه كالموت .

نظرتُ إليه بدهشة ، وإن لم أستطع الحديث . انفتح ستار مسرح صغير مُلحَق بالمنصّة عن جثّة رجل مغروس الرمح فى الظهر حتى المنتصف ، يزحف إلى بقعة قريبة ، ويغرس إصبعه فى دمه ويكتب . لاشك أن هذا (كليب) يكتب وصاياه العشر إلى أخيه (سالم الزير) .. الوصايا التى تُفتَتَح وتُختَتَم بـ (لا تُصالح) !

صاح (دنقل) :

« لا تُصالح !

ولو منحوك الذهب

أترى حين أفقأ عينيك

ثم أثبّتُ جوهرتين مكانَهما ..

هل ترى ؟

هى أشياءٌ لا تُشتَرى ! »[1]

ضجّت القاعة بالتصفيق ، وكنتُ بنصف عقلى معهم ، وبالنصف الآخر أتذكر كل الليالى التى بت فيها أقرأ (لا تصالح) فى فراشى وأرتجف مع كل سطر ، أجاء اليوم الذى أسمعها فيه من (دنقل) مباشرةً ؟! لكم ساحر ....

يوصل (أمل) المقطع بالمقطع وسط صيحات الاستحسان والتصفيق الذى يوقظ الموتى بالجوار ، وحتى صاح صيحته الأخيرة : « لا تُصالح .. لا تُصالح » .. فلم أتمالك نفسى وقمتُ أصفقُ ملء يدى . ولكن (دنقل) أشار بكفّه إشارة صد جمدتنا فى أماكننا ، وقال :

(1) لا تُصالح ، ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس .

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ والآن ، نبدأ حفل التتويج .

حبستُ أنفاسى ، ها قد جاءت اللحظة أخيرًا ، وحان للجميع أن يعرفوا من هى معشوقة (دنقل) ، وحان لمعشوقة (دنقل) أن تنعم بقربه إلى الأبد . أشار بإصبعه ، فدخل صبية يحملون صوانى مرصوص عليها آلاف الجواهر ، وقال :

ــ هذه الجواهر لكم ، والخلود لكم .

فضجّت القاعة بالتصفيق ، ولمّا هدأ التصفيق تابع (دنقل) :

ــ وفى المقابل أريد منكم شيئًا صغيرًا لإثبات الولاء ،

أريد : عيونكم !

صاح الجمع :

ــ من عيوننا يا (دنقل) ! فداءك يا (دنقل) !

وتقدمتُ إليه ركضًا :

ــ ابدأ بى يا (دنقل) ، ابدأ بى .

لكنه قال مترفقًا :

ــ بالدور يا حبيبة ، قفى فى الصف .

ضربتُ الأرض بقدمى ، وانتظرتُ فى الصف . ومن بين الضجيج ارتفع صوت يصرخ :

ــ لاااا !

لا تقبلوا أن تمنحوه عيونكم ولو منحكم الجواهر،

ألم يقل أنها أشياء لا تُشترى ؟!

كان هذا (سبارتاكوس) ، اهتز قلبى ، ماذا يقول ؟

علت الأصوات :

ــ خائن !

ــ اقتلوه !

ــ اشنقوه !

وبقى يردد :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ يا إخوتى ثوروا .. تعلّموا أن تقولوا : لا .. تعلّموا أن ترفعوا رءوسكم ..

أشار (دنقل) ، فتكالبوا عليه ، أمسكوا به ورفعوه إلى مشنقة رغم محاولاته العديدة للإفلات ، وفى لحظة تدلّى جسده متطوحًا منتفضًا فى كل ثانية عدة نفضات ، اقشعر بدنى وتحاشيتُ النظر ، حتى سكن .

هدأت أنفاسى ورفعتُ رأسى أستطلع فاتسعت عينى إذ أراه ينتفض من جديد ويرتج بعنف فيما يقول :

ــ « فلترفعوا عيونكم إلىّ

لربما .. إذا التقت عيونكم بالموت فى عينى :

يبتسم الفناء داخلى .. لأنكم رفعتم رءوسكم .. مرّة ! »[1]

وقع فى قلبى وواريتُ عينى ، إن العيون سيئة يا (أمل) ، لا أريدها ، خذها . مُتعَبة يا (أمل) من الحياة ، خذها أيضًا ، وكن رءوفًا .

(1) كلمات سبارتاكوس الأخيرة ، ديوان البكاء بين يدى زرقاء اليمامة .

وقد استجاب أخيرًا ، أجلسنى على مقعد ، واقترب منى حاملاً المثقاب ، أفكر أننى فى اللحظة التالية لن أملك عينى الخضراوين ، أفكّر أنه لا بأس فهما أصلاً ليستا عينى . أفكّر أننى لن أرى الموجودات ، أفكّر أنه لا بأس طالما أنها بنفس القدر لن ترانى . أفكّر أنه من غير الممكن أن أعرف إن كانت سترانى أم لا ترانى مادمتُ لن أراها وهى ترانى . أفكّر أنها تتلاشى من أمامى ، أفكّر أنها تفكّر أننى أتلاشى من أمامـ ....

(دنقل) : هنا .

صديقتى : ليستا هنا .

أنا : هنا .. أم لستُ هنا ؟

ثم تلاشى كل شىء .

♪

« وتلاشى به الظل شيئًا فشيئًا ..

فلم أستبنه .

Looloo
www.dvd4arab.com

بعدها لم أجد صاحبَى

لم يعد واحد منهما لى بشىء

ــ هل تريد قليلاً من الصبر ؟

ــ لا !

فالجنوبى يا سيدى يشتهى أن يكون الذى لم يكنه

يشتهى أن يلاقى اثنتين :

الحقيقة ، والأوجه الغائبة . »[1]

♫

(1) الورقة الأخيرة : الجنوبى ، ديوان أوراق الغرفة 8.

9

حــق وحقيـق

ــ اليوم التالى لانقضاء اللعنة ..

إنّ ضوءًا يدخل من نافذتك يضيء فراشك ــ الذى تبيتُ عليه كل ليلة ــ لهو ضوء تقليدىّ .

ها هو الصباح الذى ...

الذى .... ولماذا أوجع رأسى ؟ هو صباح ككل صباح !

أنظر إلى الساعة : ها قد فوّت لقاءنا الصباحى ، ولربما بدأت المحاضرة أيضًا . أنظــر فى الجدول لأعــرف أى طراز من المحاضرات لدينا اليوم ، فوجدتها ــ للأسف ــ من الطراز الذى لا يسمح بالدخول فى المنتصف .

غادرتُ الفراش وثبًا ، توجهتُ إلى المطبخ وتناولتُ قطعة من البيض الذى تُعده أمى :

ــ صباح الخير ، ماما !

Looloo
www.dvd4arab.com

جرعت المياه وغادرت ولمّا ترد التحية بعد . دقائق وكنتُ بالشـــارع وانطلقتُ أتقـــافز ــ كالبطلة ــ إلى كلّيتى . روّعتنى سيارة عابرة بسرعة كادت تعصف بى لولا أن انتبهت فى اللحظة التالية ، ولم تأبه السيارة أو تتوقف لحظةٍ وإنما مضت فى سرعتها أشيعها بلعناتى :

ــ ألا تُفتّح عينيك أيها الأعمى ؟!

طابور طويل على تذاكر المترو وأنا لا أملك الوقت ، هكذا عبرتُ خلف إحداهن وقفزت إلى العربة فى اللحظة الأخيرة قبل انغلاق الباب .

وبوصولى الكليـــة ، وضعتُ يـــدى على قلبى ، واستجمعتُ شجاعتى ، ثم فتحتُ باب المُدرّج دفعة واحدة ودخلت . توقفتُ بحركة تلقائية بانتظار عبارة تأنيب أو سخرية أو طردة ما ، لكن يبدو أن الدكتور كان منشغلاً بالشرح ، فتسللت للداخل فى خيبة أمـــل .

همستْ لى (مشيرة) :

ــ لماذا تأخرتِ ؟

ــ صحوتُ متأخرة ، كنتُ مندمجة فى حلم عجيب !

ــ وأنـــا .

قالت (عصمت) :

ــ وأنا أيضًا .

ثم سألتنى :

ــ وبماذا حلمتِ ؟

هززتُ رأسى بلا مبالاة :

ــ ضباب !

ثم عدتُ أسألهما :

ــ وماذا فعلتما فى موضوعيكما للجريدة ؟

انطلقت (مشيرة) وكأنها تنتظر هذه الفرصة :

ــ ويلى من هذا الرجل ! إنه لا ينوى أن يخطئ بحياته ويرد علىّ .

وقالت (عصمت) :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أما أنا فعندى خبر جديد .

شجعناها بإيماءاتنا ، تابعَتْ :

ـ الضابط سمح لى برؤيته .

ـ عظيم !

ـ وهو الذى رفض .

ارتفع طرف شفاهى الأيسر :

ـ معقول كل هذا القدر من النحس !

وأكملنا ثرثرةً لنهاية المحاضرة .

~

انطلقنا فيما بعد إلى الكافيتريا . رفعتُ يدى للنادل قائلة :

ـ النسكافيه لو سمحت يا (سيد) .

لكنه لم ينتبه .

أعادت (عصمت) بصوت أعلى :

ـ النسكافيه الخاص بنا وحياتك يا (أبو السيد) .

قلتُ ساخطةً :

ـ لماذا لا يعيرنا أى أحد ، أدنى اهتمام ، بهذه الكلية ؟

وكأننا لسنا هنا .

ثم استدركتُ بصوت مبحوح :

ـ وكأننا .. أشباحًا !!

♪

« يا دقة الساعات

هل فاتنا ما فات

ونحن مازلنا

أشباح أمنيات

فى مجلس الأمنية ؟ »[1]

♫

(1) بكائية الليل والظهيرة ، ديوان البكاء بين يدى زرقاء اليمامة .

Looloo www.dvd4arab.com

انتفضتْ (مشيرة) :

ــ ماذا ؟!

تابعتُ :

ــ يبدو لى أن (سيد) لا يرانا . ألا تلاحظان أننى دخلتُ المحاضرة فى منتصفها دون أن يمنعنى الدكتور أو يستوقفنى أو ينتبه لى حتّى ؟ نحن ظللنا نثرثر طوال المحاضرة دون أن نُطرد أو يُلفت نظرنا ، إن أحدًا من الزملاء لم يعترض حتى أو يزمجر أو يتأفف !

ضحكت (عصمت) :

ــ خلاص يا (ليلى) جعلتِ منّا أشباحًا !

استرجعتُ ساعات الصباح الأولى :

ــ انتظرى يا (عصمت) ، اليوم أيضًا كادت السيارة تدهسنى كأن السائق لا يرانى ، ولم ترد أمى تحية الصباح .

ــ إنها لا ترد دائمًا .

مدّت (مشيرة) يدها تتلمس ذراعى :

ــ ولكننى أشعر بكِ يا (ليلى) ، أنتِ موجودة .

ــ بل أنتِ شبح مثلى .

ثم رحتُ أهزّ رأسى سلبًا إذ أتذكّر :

ــ لم يكن حلمًا ، لقد أرادنى (دنقل) . أنا أذكر اقترابه منى بالمثقاب قبل أن أغمض عينى . لابد أنه فقأ عينى وأتم طقوسه فتحولتُ إلى شبح ، وأنتما تحولتما مثلى لأن اللعنة تصيبنا معًا ، أو تتوقف عن ثلاثتنا كما أشار العجوز .

شدهت (مشيرة) فيما لم يبدُ على (عصمت) أدنى اهتمام ، هتفتُ :

ــ سأثبتُ لكما !

ثم هببت واقفة وصحتُ بأعلى صوت :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ياا (سيد) ! ياا (سيد) !

التفتت الكافيتريا بالكامل إلى ، كما هرول (سيد) فتحدث من تحت ضرسه :

ـ ما الأمر يا آنسة (ليلى) ، لماذا تصرخين هكذا ؟

خفق قلبى بالسعادة :

ـ أنت ترانى يا (سيد) ؟

ثم مددتُ يدى :

ـ هل بإمكانك أن تلمس يدى ؟

ثم تذكرتُ شيئًا :

ـ (سيد) ، ما لون عينى ؟

طافت نظرة هيام بوجهه :

ـ آنسة (ليلى) ، هل تحدثينى أنا ؟!

ـ ومن غيرك يا (سيد) !

جذبتنى (عصمت) من معصمى لأسفل :

ـ هلا كففتِ عن الفضائح ؟

ـ إنه يرانى يا (عصمت) ، يرانى ..

ـ اجلسى يا (ليلى) ، اجلسى .

زفرتُ زفرة طويلة إذ أجلس :

ـ الحمدلله ، نحن أحياء . الحمدلله ، كان حُلمًا .

قالت (عصمت) :

ـ لم يكن حلمًا يا (ليلى) ، كان خطرًا حقيقيًّا كاد يودى بحياتك ، (دنقل) خطط لأن يأخذ عينيكِ ويحولك إلى عالمه الشبحى ، لولا أن تدخلت عناية الله لإنقاذك .

ـ نعم ، أذكر اقتراب المثقاب إلى عينى ، لكنى لا أذكر شيئًا بعدها .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أنا سأحكى لكِ ما حدث يا ستّى ، ولئن لم تشيدين بعبقريتى فلأُقتل أو أُشنق !

نظرتْ إليها (مشيرة) باستخفاف :

ـ لتقولى ما شئتِ يا (عصمت) ، لكنى أحمل لكما مفاجأة مُدهشة ، أخبركما شيئًا ؟ أنتما مدهوشتان مندهشتان .

10

بداية ونهاية

ـ تابع : اليوم التالى لانقضاء اللعنة ..

خرجنا من الكافيتريا التى صرنا موصومين فيها ، وجلسنا ببهو الكلية . قالت (عصمت) :

عندما عنفتنى آخر مرة لدى تحذيرى لكِ من الذهاب مع (دنقل) ، أيقنتُ من خطره عليكِ الذى يسلبك حتى « الشعور بالخطر » ، وقد أقسمتُ لئن لم أساعد صديقتى فلأقتل أو أُشنق . فكّرتُ أن أشرى مسدسًا أو ساطورًا ، أو أن أستعين بالشرطة وأجلبهم إلى حيث الأمسية فى المقابر ، لكنى ببساطة أدركتُ أن هذا غير مجدٍ مع فريق من الأشباح . وحين خطرت ببالى الفكرة ، طلبتُ من (مشيرة) أن تعود لمنزلها ، وركضتُ ركضًا إلى المزار .

بحثتُ عن العجوز الذى بش لى حين رآنى وصاح :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ آمل أن تكون الأمور عندكم على أسوأ ما يُرام !

قلتُ له :

ـ ألن تمنحنى العملة ؟

ـ ألم تحاول سابقًا ؟

لكن هذه المرة عندى لك صفقة لا تُرَد ، أنت تريد إفساد حياة الناس من خلال الأمنيات التى يتمنونها بذواتهم لذواتهم ، لسابق علمك أن الإنسان يتمنى ما يُفسِده ، أليس كذلك ؟

ـ ثم ماذا ؟

ـ وكأى صاحب رسالة فلا شك أن تريد العديد من الأتباع . أخبرك ، أنى سأجلب لك ما شئت من الفتيات اللاتى يتمنين ، على أن تمنحنى عملة .

صحتُ بها :

ـ ياللكــارثة ! ياللمصــيبة ! هــل بعــتِ روحك للشيطان يا (عصمت) ! هل بعتِ روحك للشيطان ؟!

أسكتتنى :

ـ صهِ أيتها العبيطة ، دعينى أكمل .

كان عمليًا ، فقال لى :

ـ كم فتاة ستمنحينى ؟ وما المدى الزمنى لسريان العقد ؟ وهل تقدّرين الشروط الجزائية ؟

ـ هذه التفصيلات سنتفق عليها فيما بعد ، امنحنى العملة ، ودعنى أطمئن على صديقتى ، وأعود لك غدًا نتفق على كل شىء .

ـ وكيف أضمن أنكِ تعودين ؟

حوطته بذراعى قائلةً :

Looloo www.dvd4arab.com

ـ عيـب ! أنت لا تعرف (عصمت) بعد ، ولئن لم تلتزم (عصمت) بكلمتها فلتقتل أو تشنق .

أنزل يـدى ونظـر إلى بتشكك ، ثم بسـط ورقـة فى يـده ـ لا أدرى كيف ـ وقال :

ـ وقّعى هنا .

رحتُ أولول :

ـ يا ويلى ! عقدتْ صفقة مع الشيطان ! وقّعتْ بدمائها للشيطان !

اتسعت عينا (مشيرة) لمداها ترقب (عصمت) كالمأخوذة :

ـ وماذا بعد يا (عصمت) ؟

أتابع ولولتى :

ـ ماذا بعد ؟! وماذا بعد الصفقة مع الشيطان غير الخراب يا (عصمت) ؟ لماذا يا (عصمت) لمـاذا ؟!

تضربنى (مشيرة) على يدى :

ـ اسكتى ، دعيها تكمل ، ماذا فعلتِ يا (عصمت) ؟

أخرجت (عصمت) شطيرة بدأت تلوكها فيما تقول ببساطة :

ـ أبدًا ، وقّعت له ، وأخذت العملة .

تستحثها (مشيرة) :

ـ هـاه !

ـ هاه ماذا ؟

ـ هل تمنيتِ ؟

ـ فلِمَ كنتُ أعقد الصفقة إذًا ؟!

ـ وماذا تمنيتِ ؟

ـ أوَ كنتُ أخبرتك بالأمنية فى المرة الأولى ، حتى أخبركِ فى الثانية ؟

تقوم (مشيرة) سريعًا فتكيل لها اللكمات فى كتفها :

ـ أنتِ سخيفة يا (عصمت) ، أخبركِ شيئًا ، وسمجة .

www.dvd4arab.com

تتفلت (عصمت) ضاحكة :

ــ حسنًا ، حسنًا ، سأقول .

الحقيقة أننى كنتُ أنوى أن أتمنى شيئًا ينطوى على عدم رؤية ذاك العجوز مرة ثانية ، وعودة الحياة إلى ما كانت عليه قبل أن نراه ، ولكننى فكرتُ ــ للحظة ــ فى قدر الأدرينالين الذى لن يتدفق إلى دمى لو لم أرَ العجوز ثانيةً أو أتبع الصفقة ، فقلتُ : لنبقهِ ، ونمحُ ضرره . قذفتُ بالعملةِ فى البئر وصحتُ بأعلى صوت :

« أتمنى أن تفقد أمنيات هذا البئر السارية والآتية كل قدرة لها على الإيذاء ، وإلاّ ، فلا تتحقق . »

ارتطمت العملة بالقاع ، والتمع الشرر بعين العجوز إذ يدرك الخديعة ، فغمزتُ له بعينى ، وانصرفت .

توقفتُ عن النحيب ، ورفعتُ عينى إلى (عصمت) ، فى حين صاحت (مشيرة) :

ــ واو ! إن هذا الذكاء لمخيف يا (عصمت) !

قلتُ لها أتأكد :

ــ هل تعنين أنكِ بهذه الأمنية تتيحين للأمنيات أن تتحقق ، لكن دون إيذاء ؟

قالت (عصمت) وقد اغترت بإطراء (مشيرة) :

ــ ها قد فهمتِ أخيرًا . عفوًا ، فليس كل الناس يتمتعون بالذكاء .

هنا جلجلت ضحكة (مشيرة) ، فقلت لها مستنكرة :

ــ يعنى يوم أن تتفقان يكون على أنا ؟ أأعجبتك سخريتها منى لهذا الحد ؟

قالت من بين ضحكاتها :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ بل أنا أضحك عليها ، لقد عرّضتْ نفسها لخطر رهيب دون أدنى داعٍ ، وإن وقف اللعنة لأبسط من هذا بكثير ، أخبركما شيئًا ؟ استعدا لهذه المفاجأة .

روت (مشيرة) :

عندما تركتْنى (عصمت) أمس اتخذتُ طريقى للمنزل فى حالة من الاضطراب الذى يضعك على حافة الانهيار ، ويجعل أحاسيسك رهيفة تجاه أحزان الآخرين التى تُذكّرك بأحزانك الخاصة .

هكذا إذا وجدتُ متسولة عجوزًا فلم يكن مستغربًا أن أساعدها ، وهذه المرأة بالذات لا أدرى ما فعلتْ بمشاعرى إذ تجلس متكوّمة على نفسها بالكامل بركن الطريق ، وتُبرز فقط يدها المبسوطة . لم أملك إلا أن أضع يدى بجيب الجاكيت وأخرج أى عملة أجدها فأضعها فى يدها مباشرةً ، ثم أمضى ، دون أن أرغب فى المضى حقًا ، ولكن إن يجرح شعورها تطلعى بها .

لكن الغريب أنها استوقفتنى :

ـ يا ابنتى !

توقفتُ فورًا ، وعدتُ إليها ، فرفعت وجهها إلى :

ـ عيبٌ عليكِ أن تسخرى من عجوز مثلى ، خذى عملتك .

أردتُ أن أقول ، أننى لا يمكن أن أسخر منها أبدًا ، ولكن إذ أنظر إلى العملة فى يدها المبسوطة ، جحظت عيناى : لقد كانت هى ذاتها « عملة الشيطان » !

ـ عملة الشيطان ؟!!

ـ عملة الشيطان ؟!!

قالت (مشيرة) :

التقطتُ العملة ، دققت فيها : هى هى . مسحتُ بيدى على الجاكيت الجينز الذى أرتديه والذى ارتديته يوم الرحلة كذلك : هو هو . استرجعت المشهد حين كنتُ أُمسك العملة بيد ، وفى

Looloo
www.dvd4arab.com

يدى الأخرى يقبع الجنيه المعدنى الذى أخرجته فى البداية للتمنى ، والذى امتنعت عن منحه للعجوز لضآلته .

لقد بقى فى يدى ، ومع السرعة والتلاحق الذى تم بهما الأمر ، حيث اختطفت (عصمت) العملة من يدى ورمت بها بسرعة وتمنّت ، وأسقطتُ أنا العملة الأخرى فى جيبى ظانّة أنها الجنيه المعدنى ، لم تتوقع إحدانا أن ما حدث هو ــ بالضبط ــ العكس.

سألت نفسى : هل كنّا طوال الوقت نظن أن العملة التى منحنا إياها الشيطان ، هى شرط الأمنية ، بينما العملة فى جيبي ؟

فكّرتُ فى سرعة فى معنى هذا : إن الأمنية تحققت ولا شك ، فإذا لم تكن عملة الشيطان هى المسئولة عن تحققها ، فإن الأكثر بديهية أن « بئر الأمنيات » هو المسئول ، بصرف النظر عن العملة التى تُقذَف فيه . هكذا ، بدّلتُ مسارى واتجهت إلى المزار ، رميتُ جنيهًا معدنيًّا جديدًا ، وتمنيت بأعلى صوت :

« لا أحبّاء ! لا مزيد من الأحبّاء ! لا أريد أن نلقى الحب أبدًا أبدًا ! »

صاحت (عصمت) فى ضجر :

ــ ونعم الأمنية ! هل تمنيتِ لنا الوحدة بقية الحياة ؟! شاطرة يا فتاة .

صحتُ أحدّث طرفًا رابعًا :

ــ لو أنها واحدة مخبولة كنتُ تحملتها ، لكن اثنتان مخبولتان ؟ إن هذا لكثير !

قالت (مشيرة) :

ــ هذا بدلاً من أن تشكرينى لإنقاذ حياتك ؟

قالت (عصمت) :

ــ بل أنا التى أنقذت حياتها معرضة نفسى للخطر مع الشيطان .

ــ إن ما فعلته « لعب عيال » ، وليس هو المؤثر فى مسار الأمنية ، لذلك ، أنا من أنقذها .

ــ إن ما فعلتُه ذكاء نادر ، ولولا حكمتى وحنكتى لضعتما معًا ، ولذلك أسجّل حقى فى ملكية إنقاذها .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ إن الذكاء الحقيقى لهو البحث عن أبسط الحلول وليس أعقدها ، ولذلك أصرخ وأصرخ : أنا من أنقذها ..

ـ أنا من أنقذها ..

ـ أنا من أنقذها !!...

ـ إذًا لنسألها ؟

ـ لنسألها .

وهل أنقصكما معًا ؟!!

أفكّر ، أنا أعرف ما سيروقهما :

ـ لتناولنى إحداكما عملة . سأرمى بها والتى تخمّن وجه سقوطها تكون هى من أنقذتنى .

بحثت (مشيرة) فى جيبها ثم ناولتنى عملة الشيطان ..

قلتُ لهما قبل أن أرمى :

ـ ملك أم كتابة ؟

قالت (عصمت) : الملك .. السلطة والقوة والانحناء فى حضرته .

قالت (مشيرة) : بل أنا التى تختار الملك .. الشهرة والجاه وإشارات الأصابع إليه .

قلتُ : ومن يأخذ الكتابة إذًا ؟ الحرف ، بث الروح .. أصل الأشياء ومنتهاها .

ثم رميتُ بها ، وتابعناها بعيوننا إذ تعلو ثم تسقط تصطدم بالأرض وترن عليها فتتطوّح يمنة ويسرة حتى سقطت يد عليها أوقفتها ، والتقطتها . قربتها إلى وجهها وقالت :

ـ لكم جميلة .. من أى العصور هى؟

ارتفعنا ببصرنا فإذا بـ (رجاء) تنظر لى وتقول :

ـ كيف الحال يا (ليلى) ؟ ثمة خبر سيئ لا أريدك أن تحزنى كمدًا أسفًا عليه .

ارتجف قلبى :

ـ ما هو ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أتعرفين من أين جئتُ للتو ؟ من مكتب رئيس القسم ، ويؤسفنى أن أخبرك أن تلكؤك فى إعداد موضوع (أمل دنقل) جعله يكلّفنى أنا بهذا الموضوع.

ثم أسقطَت العملة فى يدى ، ونظرت لى نظرة رضا عن صنيعها وقالت :

ـ آسفة .

والتفتت مغادرة لكنها توقفت صائحةً :

ـ آه ! على فكرة : هذه العملة تشبه كثيرًا جدًّا العملة التى منحها لى المتسول العجوز قرب مزار الأمنيات . لقد ظننتُ (عصمت) تسخر حين أخبرتنى أن أمنيتكم تحققت ، لكن فكّرت أن التجربة لن تضر .

ثم مالت إلى تقول بغلّ :

ـ لا تحزنى يا (ليلى) إن صارت (رجاء) معشوقة (دنقل) ، فإننى لم أجد شيئًا أهم أتمناه أمس !

نظرنا إلى بعضنا لحظاتٍ فى ذهول ، ثم انفجرنا بالضحك . قمنا نتقاذف بالعملة إلى السماء ونلتقطها إذ نسير ونردد :

« معانا ريال ! معانا ريال !

دا مبلغ عال ! ومش بطّال ! »

Looloo
www.dvd4arab.com

خـاتمـة

(أيها الراحل تفكّر؛ سلّمة الحاضر نخرة ، سلّمة الماضى ذكرى ، سلّمة الآتى خطرة ، فتوقف تزن الخطوة ، وتأمّل .)

والآن ، (فانتوم) ، وبعد كل ما حكيت لك أود أن أصل إلى السؤال الهام الذى يفوق كل ما ذكرت لك أهمية ، أريد أن أقول ، أريد أن أعـرف ، أريـد أن أسـأل : « هـل يمكنك أن تُعمِل الكاميرا !؟ »

♪

« فيا ذات العيون الخضر

دعى عينيكِ مغمضتين فوق السر ! »[1]

♫

(1) براءة ، ديوان مقتل القمر .

العـدد القـادم

الوصـول إليـك

« أكان لابد يا (سامى) أن تدير وجهك ؟! »

« إننى يا (سامى) إذ أحكى لك ، أحاول تنحية عواطفى إلى جانب ، أحاول فى بداية كل جملة ألاّ أقول « أحبك » وفى نهايتها ألا يتهدّج صوتى بالبكاء ، لكن محاولاتى تفشل كثيرًا ، أعترف .

أعترف أنى آلمتك ..

إن السكّين حين يخترق الجسد ليؤلم .

يؤلم كأن القطار يدهس

يؤلم كأن الروح تصعد

Looloo
www.dvd4arab.com

يؤلم كأن (سامى) تزوج .

أحياناً أفكر :

هل كان الخطأ أن التقينا بعد هذا الزمن وتنكرت لى ؟

أم كان الخطأ أن اتصلت بى بعدها للاعتذار عن ذاك الخطأ !؟

نبّهنى يا (سامى) حين أتمادى فيما لا يفيد السياق ولا يؤدى إلى تطور الصراع فالعقدة ..

العقدة التى فى الرباط ، كحبى لك .

أقــول :

أنك حين اتصلت انفتحت طاقة بداخلى . أخبرك بصدق أنى سامحتك من أول حرف . وحين فتحتُ لك الباب طاوية يدى خلف ظهرى ، لم أكن أحمل سوى :

وردة .

إن كــل البشــر لا يستطيعون أن يقنعــونى بأن أكرهك ، ولو اجتمعوا .

فكيف أفكر فى إيذائك ، (سامى) ؟

كيف يمكن أن أؤذيك أنا التى لا تدع فرصة لنطق اسمك ، إلا ونطقته ، (سامى) ...

كطفل لا يحفظ من الكلمات سوى نداء إلى أمه ...

أو طفل يتيم حُرِم نداء أمه لكنه ظل يحن .

طوّقتك (سامى) ،

أفسدت قميصك الثمين بدموعى ، ضممتك حتى ظننتُ أنى سأعتصرك بين ذراعى ، فأبعدتك ،

ثم تقت فقرّبتك ..

حتى قطّى لا يزال يذكرك ؛

راح يتقافز حولك ويتمسّح بقدمك ..

لكنك أبعدته يا (سامى) دون تردد ؛

فأنت تجيد لعب دور الــ « قاسى » متى أردت .

قرّبتك ، (سامى) ..

Looloo
www.dvd4arab.com

أقرب ،

أكثر شىء .

حتى شعرت باضطراب الهاتف فى جيبك لمّا اتصلتْ بك :

« حاضر ،

سآتى حالاً . »

ولمّا أنهيتَ مكالمتَك لم أقل سوى كلمة واحدة :

« أنت : لن ترحل »

تبدّل وجهك ، وقد عزمت على الرحيل . استوقفتك : أنت معى ، أنت لى ..

زجرت يدى .

استعطفتك : أنا قبلها ، أنا الأصل .

لكنك لم تهتم .

لم أملك غير أن هدّدتك :

إن أحدًا لن يأخذك منى بعدما وجدتك ، وأنى :

قاتل أو مقتول الليلة .

لماذا لم تصدقنى يا (سامى) ؟

لماذا استخففت بوجعى ، ودفعتنى من أعلى شطحات الأمل إلى الأرض ، ثم استدرت ؟

إن جرحًا كجرح امرأة تزوج حبيبها لا يُستهان به أبدًا يا (سامى) . أنت لم تصل الباب ؛ لأنى ...

التقطت السكّين ودفعت به بين كتفيك ...

لا أدرى يا (سامى) كيف اخترقك السكين ؟ لا أدرى ....

أنت شفاف كالملائكة

كالروح

كالأنفاس فكيف يا (سامى) .. كيف ؟!

لكنك هدأت وكففت عن المحاولة ، وقبلت أن تبقى معى ، وقد أغلقتُ هاتفك ، ضمّدتُ جرحك ، أبدلتُ قميصك ، وقضيتُ وقتًا

Looloo
www.dvd4arab.com

رائعًا بحضنك ، ولكنّك تبدلتُ كثيرًا يا (سامى) عن ذى قبل ؛ فكلما مازحتك لا تستجيب ، وكلما أسندتُ رأسى إلى صدرك ..

لا أسمع دقات القلب . »

والآن ، أنت تعرف أكثر من اللازم !

إلى لقـــاء !

أيها القادم إلى ، أيها الراحل عنى ، أيها العابر فوق أحرفى واطئًا جرحى ، داهسًا وجعى ، مبعثرًا نزفى ، مشاهدًا ــ عن كثب ــ حبى وخوفى وأعمق أسرار نفسى ، ثم مديرًا ظهرك إلى كأن لم تكن .

هدّئ مسيرك ، سأتبعك .

سنلتقى ، ولو لم تصل إلى ، لوصلت إليك . اقبع جوار الحائط ، ادخل داخل الحائط ، اختبئ تحت فراشك ، اخفِ وجهك ، اكتم صوتك ، ستكون لك زلّة؛ ستفضحك أنفاسك ، أو تسعل فجأة . ثم لن ينفعك طول الاختباء .

ها قد انتهيتُ ، ويمكننى أن أقول : "See you"

وبالعربية تصبح : « مصير الأحياء إلى لقاء ! »

Looloo
www.dvd4arab.com

الحب والرعب

3

فى كتاب الحب والرعب سطر، يضمن تدفق الأدرينالين إلى دمك، قبل أن يسفك دمك!

سالى عادل

أمنيات أبدية

وقد استجاب أخيرًا، أجلسنى على مقعد، واقترب منى حاملًا المثقاب، أفكر أننى فى اللحظة التالية لن أمتلك عينىّ الخضراوين، أفكّر أنه لا بأس ؛ فهما أصلًا ليستا عينىّ. أفكّر أننى لن أرى الموجودات، أفكّر أنه لا بأس طالما أنها بنفس القدر لن ترانى.

أفكّر أنه من غير الممكن أن أعرف إن كانت سترانى أم لن ترانى ؛ مادمتُ لن أراها وهى ترانى.

أفكّر أنها تتلاشى من أمامى، أفكّر أنها تفكّر أننى أتلاشى من أمام....

10 / 12 / 013

الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

مطابع